ينابيع الإيمان
- ١٦ -

إفرام السّرياني

أناشيد في الإيمان

الجزءُ الثّاني

٤١ - ٨٠

قدّمَ لها ونقلها إلى العربيّة
وكتبَ حواشيها

الخوري بولس الفغالي

منشورات
الجامعة الأنطونيّة

ينابيع الإيمان

-١٦-

إفرام السرياني

أناشيد في الإيمان

ينابيع الإيمان
- ١٦ -

إفرام السرياني
أناشيد في الإيمان

الجزء الثاني

٤١ - ٨٠

قدّم لها ونقلها إلى العربيّة
وكتب حواشيها
الخوري بولس الفغالي

منشورات
الجامعة الأنطونيّة

طبعة أولى – ٢٠٠٨

الطباعة: دكّاش برينتنغ هاوس
عمشيت – لبنان – تلفون: ٠٩/٦٢٢٢٨٠

التوزيع: • دير مار روكز – الدكوانه
ص.ب. ٥٥٠٣٥ بيروت، لبنان

• المكتبة البولسية
شارع القديس بولس – ص.ب: ١٢٥
٥٠١٠ جونيه، لبنان

المقدمـة

بعد جزء أوّل من أناشيد في الإيمان، شدّدنا فيه على «الخصوم» الذين ردّ عليهم أفرام، وقدّم في الوقت عينه التعليم الأنطاكيّ السريانيّ حول الله الذي لا يُدرك. فبعد قراءة النصوص الكتابيّة والتأمُّل في غنى الطبيعة، يطلب منّا هذا الشاعر الكبير أن نتحلّى بالصمت لكي ندخل في السرّ. فالله ليس إنسانًا وحسب، لكي «ندرسه» على المستوى الطبيعيّ والنفسانيّ. فأبعد من الإنسان هو ابن الله. لا شكَّ في أنّنا ننطلق من حياته اليوميّة كما نقرأها في الأناجيل، ونتعرَّف إلى أعماله وحياته منذ الطفولة حتّى الآلام والموت على الصليب. ولكنَّ كلَّ هذا لا يحمل الخلاص إلى البشر. فلو لم يكن المسيح سوى إنسان، لما استطاع أن يخلِّص الإنسان.

لهذا، ردَّ أفرام على هؤلاء «المجدِّدين» من أريوسيّين ينكرون لاهوت الابن ويعتبرونه «إنسانًا متفوِّقًا» فقط. وما نسي الأنوميّين الذين رأوا أنَّ الابن لا يشبه الآب. هذا يعني نكرانًا للثالوث وعودة إلى العالم اليهوديّ الذي يؤمن بالإله الواحد، ولا يرضى أن يكون لهذا الإله شريك. هذا ما لا شكَّ فيه. فالإله الذي نعبد، نحن المسيحيّين، والذي يتكلَّم عنه أفرام هو الإله الواحد. ولكنّنا نؤمن في الوقت عينه أنَّ هذا الإله «عيلة» تُدعى جميع البشريَّة إلى الدخول فيها. هو غنى يضاف على غنى العهد القديم دون أن يلغيه. إذا كان يسوع قال: «من رآني رأى الآب» (يو ١٤: ٩)، فهل يعني ذلك سوى أنَّ من أراد أن يتعرَّف إلى الآب يكتفي بالنظر إلى الابن؟ فهذا الابن هو «صورة الله اللامنظور» (كو ١: ١٥). وهذا الآب لم يره أحد قطّ. ولكنَّ الابن الذي صار بشرًا، جاء وأخبرنا عنه (يو ١: ١٨).

ذاك ما قرأنا في الجزء الأوَّل من أناشيد في الإيمان، وذاك ما نقرأ أيضًا في الجزء الثاني. وإن نحن قسمنا هذه الأناشيد الأفراميَّة قسمين، فلأسباب عمليَّة داخل إطار سلسلة ينابيع الإيمان. فما نقرأ من لازمة في كلّ قصيدة في الجزء الأوَّل، نقرأ أيضًا في الجزء الثاني. ففي النشيد الخامس: «لك السبحُ، يا ربّي المسيح». وفي السابع: «السبحُ لولادتك المحجوبة». وفي الثامن: «السبح لمراحم من أرسلك». وفي التاسع: «المجد لك، يا ربّ ولأبيك». وفي العاشر: «أحملني، في المخافة، لأقترب من موهبتك». هذه اللازمة الأخيرة تضيء على موضوع النشيد العاشر وعنوانه الإفخارستيّا. وما نلاحظ أنَّ ما للآب هو للابن. المجد للابن الذي هو الربّ، وهو لفظ يقابل «يهوه» في العبريَّة، ذاك الإله الذي ظهر على موسى. المجد للابن كما للآب. وهذا الآب هو الذي أرسل الابن. فالعبارات كثيرة في الأناجيل: «كما أرسلني الآب أنا أرسلكم». أو: «لا أطلب مشيئتي، بل مشيئة (الآب) الذي أرسلني» (يو ٥: ٣٠).

وفي الجزء الثاني: «السبحُ لولادتك من الآب، أيُّها الابن الوحيد» (نشيد ٤١). أو: «مبارك من بواسطة الخليقة أتاهنا عن تعقُّبك» (نشيد ٤٢). أي أبعدنا، جعلنا نتيه، بحيث نترك طريق الضلالة هذه. أو: «السبحُ للآب الذي أوضح أنَّ ابنه مولودُه هو» (نشيد ٤٤).

نتوقَّف هنا ونترك القارئ يسكر كما سكرنا نحن في ما تركه لنا ذاك الذي دُعيَ كنّارة الروح القدس وملفان الكنيسة الجامعة.

النشيد الحادي والأربعون[١]

عجائب الطبيعة

١ من رأى يومًا غرابًا يتزوَّج
أو نحلة اتّحدت في شركة
النحلة البتول ولدت بتوليًّا
والدودة تنجب وحدها.
الغيم يُولِّد أيضًا البروق، بشكل مجيد
والشرارة، بشكل عجيب، من جوف الصخرة تُرى.

اللازمة: السبحُ لولادتك من الآب،
أيّها الابن الوحيد!

٢ مستنقع المياه أيضًا يفيضُ زواحف بيد الشمس،
فيوبِّخُ الكفّار. فهو يلد في النقاوة
مثلما فاضت الزحافات، في الطهارة، في بداية الخلق[٢]
من لا يدهش بكلِّ هذا!
يُطمر الخلدُ داخل التراب ولا يختنق
والسمك داخل المياه والأطفال في الحشا.

٣ بأيِّ حركة يُقاد الحديد من نفسه
إلى الصخر؟ ويُوجَد جنس آخر
طبيعته لا تُوقَد يومًا داخل النار.
وهناك بعدُ ربوات الاكتشافات:

(١) اللحن عينه.
(٢) تك ١: ٢٠-٢١: لتفض المياه خلائق حيّة.

الحجارة والجذور وقوّة الأدوية
فمن يقدر أن يحيط بها ويميِّز طبائعها!
٤ ولادات وحيدة هي بدون زواج
صعبتْ طبائعهم على الباحثين.
والجدالات عسيرة على الذين يصُّون
في ولادة ربِّ الكل. ينبغي عليهم
أن لا يتتبَّعوا: أين؟ ولا يتجادلوا: كيف؟
ولا يتقاولوا: لماذا؟ ولا يصُّوا: متى؟
٥ ومع أنَّ الرائحة موجودة واللون والطعم
صافية هي وصغيرة، ولا تجسُّها اليد.
في الحواسِّ إخوتهم يستطيعون أن يُدركوا
واحد يشمُّ الرائحة وآخر يذوق الطعم
فأيُّ حاسّة تؤاخي العظمة الإلهيّة،
فنقترب ونتعقَّبها بما هو من جنسها.
٦ من ليس أخانا وابن جنسنا
من يقدر أن يبحث فيه، ومن يقدر أن يصَّ فيه
حسُنَ له فكشف طبيعته: كيف هي
حسُنَ له فتصاغر وأغنى
ليُبيِّنَ لنا نفسه وليمزج ابنه بنا
وروحَه يَخلط فينا ويبيِّن حبَّه لنا.
٧ حين تكلَّمتْ فجأة تلك الأتان
رأى بلعامُ عجبًا وتراخى فترك الدهشة
وكأنَّ فمَ الحيوان طبعٌ متكلِّم،
ضلَّ، وإلى حماره(٣) توسَّل(٤)

(٣) كذا في A (ܘܠܚܡܪܗ). في B: ܘܠܐܬܢܗ (ولأتانه)
(٤) عد ٢٢: ٢٨–٣٠. خبر بلعام وأتانه.

الكتبة تركوا الدهشة. العميان فُتحوا
وعلى السبت والطين تحرّكوا للبحث[٥].
٨ إن كنت معلِّمًا، فهذا يكون لعونك
وإن كنت منحرفًا[٦]، فهذا يكون للومك
وإن كنت وقحًا، كلٌّ هذا لعارك
إمتحنْ، أنظرْ جسدك الضعيف
واخجل بسواقيه[٧] التي تنجّست كلُّها
ووصماتُه تكون لك، حين تتعقّب، لجامًا.
٩ الشرِّير غلغل فينا أفكاره!
فإن كان غريبًا عنّا، فكيف هو أخٌ لنا
تآخت تحرُّكاته وامتداداته إلى وجداننا
وإلى معرفتِنا التي هي رفيعة
فإن كان الشرِّير عدوًّنا بلا فهم
فكيف بواسطة فهمنا، يَبهرنا[٨] ويجعلنا نتيه.
١٠ فسيِّدُ الطبائع، طبيعته خفيّة عن الجميع
هبْ لي أن لا أصوِّر طبيعتك بين الخلائق
وإن صَوَّرتُ، فلكي أُتيه المتجرِّئين
البشارة[٩] هي مرآتك العجيبة
فيها يُرى بلا خصام الثلاثة أقانيم.

(٥) إشارة إلى شفاء الأعمى منذ مولده (يو ٩: ١ي). الكتبة هم هنا يجادلون الأعمى، حول السبت، وعلى الطين الذي جعله يسوع على عيني الأعمى (آ٦). والأريوسيّون يُشبهون هؤلاء الكتبة.

(٦) كذا في A: ܣܛܝܬ: انحرفت عن خطّ الكنيسة. في BC نقرأ: ܣܛܝܐ: خصام.

(٧) فيها يمرُّ الدم والشعور والفكر.

(٨) «ܡܡܗܝ» كما في A. في BC: ܡܡܗܝܠ.

(٩) ܣܒܪܬܐ. أي الإنجيل والخبر الطيِّب.

١١ ربُّنا، لا يُفرغ معموديتي البحثُ فيك
فهناك من صار لهم العماد فراغًا[١٠] حين تعقَّبوا
وإن تتلمذ من البدء وتجدَّد[١١]،
ينبغي أيضًا أن يعتمد من جديد
فإن اعتمد جدَّف وإن لم يعتمد عرَّف
أنَّه بقيَ على حاله لأنَّه ما وجد شيئًا جديدًا[١٢].

(١٠) كما في BC: ܣܪܩܘ. في A: ܣܕܩܘ (انشقاق). خطأ بين الدال والراء.

(١١) كان الأريوسيّون يعيدون «تلمذة» الناس. هم المعمَّدون الجدد. ويروحون ضدَّ القوانين الكنسيّة فيعمِّدونهم أيضًا. ما أشبه اليوم بالأمس!

(١٢) عجائب الطبيعة تقودنا إلى اكتشاف سيِّد الطبيعة، ولكن لا لنحصر الربَّ في عالم المخلوقات. فهو فوقها جميعها، ويخفى على الجميع: الغراب، النحلة، الدودة، الزواحف... والحديد. كيف تزاوجَ هؤلاء؟ لا نعرف. ونريد أن نعرف كيف كانت ولادة الابن ولماذا ومتىapophatisme. المخلوقات ترتبط بالحواسّ لأنَّها متآخية معها. فأيُّ ملكة بشريّة تتآخى مع عظمة الله. وكان مثَلٍ أتان بلعام، مثلاً يعلِّم من يريد أن يعلِّم ولا يقع في حبائل الشرِّير (يع٣: ١، والكلام عن المعلِّمين). وينتهي كلُّ شيء في الكلام عن العماد باسم الثالوث. من اعتمد مرّة في الكنيسة لا يُعاد اعتماده. وإن فعل جدَّف!

النشيد الثاني والأربعون[١]

الطبيعة صورة عن الثالوث

١ من يستطيع أن يحبس كما في قندانات[٢]
ويُعير في فكره أمواج الخفايا!
العسل في مرضنا، كأنَّه مرٌّ لنا
فكم تكون قاسية العزَّةُ[٣] المجيدة!
من الذي اقتنى الحواسَّ المتعافية
ليكون كفوءًا لعزَّة هذه القوّة حيث لا جدال في ابنه.

اللازمة: مبارك من بواسطة الخليقة،
أتاهنا عن تعقُّبك!

٢ مرأى الروح لا يؤاخي بصرنا
ولونُه غريب عن عيننا لنحدِّق فيه.
فمن يتآخى مع الخفيِّ ليتعقَّبه؟
فهو غريب عن الكلِّ في كلِّ شيء.
فمن يتآخى فمه مع اللهب،

---

(١) اللحن عينه.

(٢) حرفيًّا: في نمط قنوات.

(٣) حمد الله. وابنه مثله. لا جدال في طبيعته. نحن في امتداد الفكر اليهوديّ حيث «الله» معروف في العهد القديم. أمّا الابن! في نظر أفرام، مجد الآب هو مجد الابن. وهكذا كان في خطِّ إنجيل يوحنّا في كلام عن علاقة الآب والابن، بانتظار الكلام عن الروح القدس بعد غسل الأرجل والعشاء الأخير. ذاك في الواقع ما عاشته الكنيسة. في مجمع أوَّل (نيقية، ٣٢٥) تحدَّثت عن لاهوت الابن ضدَّ أريوس. وفي مجمع ثانٍ (القسطنطينيّة الأوَّل، ٣٨١) تحدَّثت عن لاهوت الروح القدس في ردٍّ على الماقيدونيّين وغيرهم.

وطعمه مع هذا الحريق الذي لا يستطعم أبدًا؟

٣ تعلَّم بهذه النار: عزَّتها لا تستطعم
فحين نستطعم قوَّتها ففي طعم المقليّ(٤)
وهكذا هي معينة، وكلّها فائدة
هكذ أيضًا الكائن المحجوب
أمزُج وخُذْ قوَّتَه في أمور(٥) تعينك
ولكنَّ البصَّ فيه قاسٍ وعزيز(٦).

٤ في الزجاج تعبر الشمسُ داخل الماء
فتلد في القرِّ حماوة النار
(والآب) ولد ابنًا يشبهه شبهًا عجيبًا
الابن ظهر منه وما انفصل عنه
كما لا يُقطع النور ولا تُفصَل المياه
هو ابن النقاوة الذي لمع في الطهارة.

٥ الذهب واحد هو، والنار ثلاثة
اللهيب والحموّ أيضًا والنور ممزوجون(٧) فيها
لا نستطيع أن نصعد بمقابلة واحدة
نحن طبائع الخلائق. هكذا، لا خصومة:
إقبل(٨) هؤلاء الأقانيم الثلاثة الذين كُرز بهم.

---

(٤) في B: ܒܡܩܠܝܐ: في المقلى. في A: ܒܒܘܫܠܐ: في الطبخ.

(٥) الأمور التي تعيننا هي الكتب المقدَّسة كما سوف نقرأ في ٤٤: ١.

(٦) ܘܥܫܝܢܐ، كما في BC مع حرف العطف. في A: ܕܥܫܝܢܐ: مع دال الإضافة: البصّ في العزيز، القويّ، الذي لا نستطيع الوصول إليه.

(٧) حافظنا على صيغة الجمع، كأنَّها أمام ثلاثة أشخاص (اللهيب، الحموّ، النور) حاضرين في النار.

(٨) أخذنا صيغة المفرد كما في C. لا صيغة الجمع (اقبلوا) كما في A.

٦ إذا كانت الخلائق أُتقنت فلا تقوم بمشيئتنا
هي طبيعة كما هي، وهي ثلاثيّة
لا يدركها من وجد أنّها هكذا هي
هي كما هي، فلا جدال
فمن يلوم النار لأنّها ثلاثيّة
ما من إنسان يدينها، بل يتقبَّلها كلُّ إنسان.
٧ في دهشة تُقام له النار العابرة.
كيف هو في بطن الشمس ومخفيٌّ فيها
وكيف هو محجوب داخل شعاعاتها
لا يُبَصُّ في الحبل الذي ولدها
هي ولادة عجيبة، تدهشك، تفرض عليك الصمت
وتحبس فكرك وتتجاوز فهمك.
٨ أنت لا تذوق أبدًا طعم الثمرة لتعرف كيف هي:
تجسُّها بيدك، تشمُّ رائحتها، تنظر إليها.
فما دمت لم تذق طعمها وتخبَرها
فثِقْ بآخر اختبرها
إن كان الكائن الخفيّ أعلى منك في عزّته
آمنْ بتلك الثمرة، ففيها تذوق طعم عزَّته[٩].
٩ خذ حبَّة حنطة. شُقَّها، بُصَّ فيها وبيِّن لنا
أين[١٠] اختفت الساق والسنبلة والجذر
الواحد في الواحد يكتمل في داخله، ثلاثيًّا
فمن هو فتى وعتيق أو قديم؟

(٩) عزّته الإلهيّة. الثمرة هي الابن. صورة تتواتر عند أفرام: الابن ثمرة الآب.
(١٠) كما في BC: امحا. في A: امحر: كيف.

ومع أنَّ هناك بداية يصعب علينا إدراكها
فهناك بداية خفيّة منها لها.
١٠ ولأنَّ هذا السرَّ يبقى ولا يكفي
يُحصر، يُنشَّف ليكون نافعًا
فكأنَّ الشبهَ قهرته الخصومةُ
فأنت انظر فيه بنظرة معافاة
الساق تشبه الجسد. والثمرة تشبه الروح
والسنبلة النفس. يا للرمز المجيد!
١١ أنظرْ إلى كلِّ مثل: رُسم ورُكِّب.
هو لا يقدر أن يصوِّر بالكمال كلَّ شيء
نجد أنَّه ليس شبهًا، بل حقيقة
ينبغي للظلال أن تعبر[١١].
مصيدة الزمن[١٢] وبحبَّة الخردل[١٣]
مثَّل مخلِّصُنا الملكوت من أجل مساعدتنا.
١٢ النظرات والرموز[١٤] ضعيفة ولا وافية
التوسُّعات والتشابيه[١٥] مريضة ولا طافية[١٦]
في العلوّ، الوضيعُ تقدّم
ليوبّخ من يستعلي ويترفع

(١١) كو ٢: ١٧: ظلُّ الأمور المستقبلة. رج عب ١٠: ١: «الشريعة ظلُّ الخيرات الآتية.»
(١٢) مت ١٣: ٤٧: يشبه الملكوت «شبكة ألقاها الصيّادون».
(١٣) مت ١٣: ٣١: يشبه ملكوت السماوات حبَّة خردل.
(١٤) جعلنا الواو أمام «ܐܬܘܬܐ» (الرموز) كما في BC. في A: نظرات الرموز (مع دال الإضافة) أو الأمور الملغَّزة.
(١٥) كما في A مع واو العطف. في B: توسُّعات التشابيه (مع دال الإضافة).
(١٦) ܘܠܐ. ܛܦܝܐ: لا تطوف فوق الماء، بل، تغرق. في C: ܣܦܩܐ: بالغة إلى الهدف. ويمكن أن تكون هذه القراءة الأخيرة حاضرة في B.

فإن كان لا يكفي للبلوغ إلى التشابيه
فكيف يجنُّ ويشبُّ في علاء العظمة.
١٣ رفيعٌ هو السحاب عن الغبار
والسماء أرفع من الاثنين، وأيضًا سماء السماوات
رفيعة ووضيعة أطوار الخلائق
هي رفيعة للترابيّين الذين هم تحت
وهكذا التشابيه أيضًا كم تبدو كبيرة لنا
نظنُّها قريبة وهي جدّ بعيدة(١٧).

(١٧) كم من خفايا في الطبيعة. ولكن من كان مريضًا لا يستطيع أن يكتشفها. فالعسل يصبح مرًّا. هي صورة الريح. ثمَّ النار والشمس والحموّ والقرّ (البرد). هناك طبيعة تقدّم في واحد، الذهب الحجر. وأخرى في ثلاثة، مثل الزهرة، النار. وهكذا يصل أفرام إلى الثالوث. ويدعو السامع لكي يثق بمن سبقه واختبر الأمور. وفي النهاية يعلن أنَّ التشابيه والرموز تبقى ضعيفة. ننطلق منها ولا شكَّ، لكي نصل إلى العزَّة الإلهيّة، إلى العظمة.

النشيد الثالث والأربعون[(١)]

الطبيعة وغرائبها[(٢)]

١ البيضة في صغرها تدحض الوقح:
صورتها الثلاثيّة مخفيّة في المياه.
أين هو رأسها؟ الرجلان والجناحان
إسأل هذه الثلاثة فتعرِّفك
وإذا كان من تعقَّبَ البيضة أخفقَ
فكم يغرق من يتجاسر ويمسُّ البحر العظيم!
اللازمة: مبارك من بالأمور البسيطة
أخزى فكرنا[(٣)].
٢ حبَّةُ الحنطة عارية ساعةَ لباسُها فيها
قبرناها في العري فرأيناها في المجد
هي جثٌّ مُسكتَة تحرّكت في التراب
يا للدهشة: تخبِّئ ذاتها في ذاتها
ولا تُدرَك صغارتُها التي ابتُلعت في المجد
فهي كلُّها عروس مكلَّلة[(٤)].

---

(١) اللحن عينه.

(٢) يبدو هذا النشيد في خطٍّ الذي سبقه: يتأمَّل الشاعر في ما تقدَّم الطبيعة، لكي يدخلنا في سرِّها، وبالتالي في سرِّ الله الذي نعيشه ولا نجادل فيه. هكذا يبتعد عن طريقة اليونان مع مقولات أرسطو. كيف، أين، متى، لماذا؟

(٣) كذا في A. في B: لك التسابيح من الكلِّ يا ربَّ الكلّ! إنَّ C شابه A ولكنَّه جعل «ܒܨܝܪ̈ܬܐ»، في الأمور الحقيرة، بدل «ܒܦܫܝܛ̈ܬܐ» في الأمور البسيطة.

(٤) تلاعب على الكلمات: ܟܠܗ̇. ܡܟܠܠܬܐ.

٣ حبَّةُ القمح في العشب،
تُتيه الباحثين، تُدهش الناظرين
لا يعرفون كيف يمسُّونها ويبحثون فيها
جليّة هي ومنظورة، وليست هي
تلوم الباصّين وتصرخ في صمتها
فيخجلون في الأمور الجليّة ويصمتون في الخفيّة.
٤ ذخيرة خفيّة في تلك النصبة الجليّة
اختفت ثلاثة هناك وهناك لا يُبَصَّون
الثلاثة هي واحد وإذ هي واحد فهي ثلاثة
من شقَّ داخل النصبة
وأين الجذر، والثمر ثانيه
والورق ثالثه. الواحد بالواحد امتزج.
٥ لا تكون كنيسة الحقّ
دير الخصومات وشقّ الانقسامات
هو صوَّرها بيَّنها كما هو نفسه
وهذا يكفي لكي يُعرِّفنا
أنَّ له وحده البصّ جليّ: كيف هو
وسرَّح طعومه بكلمات حقيقيّة.
٦ فمن يبصُّ فيه يعرقل فيه نفسه:
يجادل فلا يعرفه، يبصُّ فلا يجده
هكذا يقدر أن يجد فيعرفه
إن هو ما بصَّ لكي يعرف كيف هو
إن أنت آمنتَ به، فأنت أدركتَه.
٧ واحدًا من اثنين، اختر لك واسأل:
إن هو الصادق، صدِّق ولا تبصّ
وإن هو أتاهك، فمن يجمعك.

ينبغي في الاثنين أن تصدِّقه
إن هو من أضلَّك، تكون بغيضًا إن لُمتَه.
فكم يجب أن تؤمن أنَّه كتب لك الحقيقة، وَهبَها.
٨ وإن هو أضلَّنا، حاشا، هذا لا يكون!
مَن يقدر أن يعرف أنَّه أضلَّنا
مَن جلا لنا ما هو خفيّ؟
طريقة صافية في كلِّ شيء
سبيله قدّام الأولاد، فتَلَه المجادلون
حقيقته تجمعنا وضلاله يجعلنا نطفو على المياه.
٩ نظر الأولاد وتاهوا، لأن رُسمت ثلاث طرقات
العالية متعبة هي. والسفلى هي قاسية
فاخترْ لك الوسطى وأمضِ فيها ببساطة
واكرز بالآب والابن، ولا تجادل
وإذ تخاصم، طريقان اثنان في التساؤلات،
أُخرجْ أنت في صفاء، في طريقك التي لا خصومة فيها.
١٠ لا تبصّ أبدًا في الآب والابن والروح المجيد
ولا تتواقح فتحدرهم
حتّى هذه التشابيه الضعيفة.
فالطبيعة التي لا تُدرَك أبدًا:
كيف هي؟ ما هي؟ أهرب منها في الصمت
فمن بصَّ فيها فَسُد بتساؤلاته(٥).

(٥) تأمَّل أفرام في بيضة مخفيّة تحت المياه، فاختنق، فعرف أنَّه إن بصَّ في الله، ذاك البحر العظيم، يغرق. وتأمَّل في حبَّة الحنطة. هي منظورة، ولكن تبقى سرًّا لنا. وكذلك النصبة. عندئذٍ انتقل الشاعر إلى الكنيسة التي ملأتْها الخصومات. نتذكّر ما حصل بعد مجمع نيقية، ساعة تدخَّلت السلطة السياسيّة، وغابت المحبّة والتفاهم. والسبب: البحث في شخص الله والتوقُّف عند التشابيه الضعيفة وكأنّها حقيقة. أترى المسيح أضلَّنا؟ بل المجادلون. تطرُّف من هنا، وتطرُّف من هناك. والحكيم من يأخذ الطريق المتوسِّطة.

النشيد الرابع والأربعون[١]

أسماء الله

١ الأسماء تقنعك: كيف تدعوه. ومن تدعوه؟
واحدٌ علَّمك أنَّه الكائن، وآخر أنَّه الخالق
وبيَّن لك أيضًا أنَّه الصالح، وعرَّفك أنَّه العادل أيضًا
سُمِّي أيضًا، دُعيَ الآب
كانت الكتب كورًا والجاهل لماذا شبَّ
فجرَّب في أكواره الأسماء والتمييزات.

اللازمة: لك التسابيح
من كلِّ الذين آمنوا بكنياتك[٢].

٢ له أسماء كاملة، وحقيقيّة
وله أيضًا أسماء مستعارة وعابرة
عجَّل فلبسها، وعجَّل فشلحَها:
ندم، نسيَ، تذكَّر[٣]
وحين صدَّقت أنَّه العادل والصالح أيضًا،
صدِّق أنَّه الوالد وآمن أنَّه الخالق.

٣ تنبَّه في أسمائه الكاملة والمقدَّسة.
فإن كفرتَ بواحد منها، طارت كلُّها وحُملت

---

(١) اللحن عينه.

(٢) كذا في A. في B: من كلِّ ما اعترف وما تعقَّب

(٣) تك ٦: ٦: ندم لأنَّه خلق الإنسان؛ مز ١٣: ٢: إلى متى يا ربُّ تنساني؟ تك ٩: ١٥: تذكَّر نوحًا.

الواحد مرتبط بالواحد، وهي تحمل الكلَّ
على مثال عواميد[٤] العالم:
الماء، النار، الهواء. إن غاب واحدٌ منها
فكأنَّ الخليقة صارت قريبة من السقوط.

٤ ردَّدَ اليهودُ أسماء الله
وما وجدوا الحياة في كثرة الكنيات
أهملوا اسم الوحيد فأهملتهم الأسماء الكثيرة
الأسماء التي أرسلها ذاك الشعب، رماها،
بها تعمَّدت الشعوب. فمن يقدر أن يحلَّ
الأسماء التي صنعت نجدة بيننا وبين هذا الشعب!

٥ علَّةٌ واحدة فقط نبذت (دفشت) هذا الشعب
ومن يحلُّها، يبني أورشليم
اقتُلع اليهود لا لأنَّهم ما تعقَّبوا
ولكن لأنَّهم لم يؤمنوا بواسطة الابن
إبحث عن العلّة: لماذا اقتُلعت أورشليم،
وانظر بلا خصومة: بها ارتبطت البيعة.

٦ لومًا لكم، يا وقحون، وزجرًا لكم، يا باصّون،
انظروا: ما من إنسان يقدر أن يكون كفوءًا للطبيعة
أنظروا: أربعون شيئًا طُمرت داخل المياه:
هناك طبيعة في شكل واحد
وهناك أيضًا في اثنين، وهناك أيضًا في ثلاثة
فالطبيعة الثلاثيّة تشعُّ في شكل ثالوثيّ.

(٤) كانوا يعتبرون أنَّ الأرض تستند إلى أربعة عواميد مركَّزة في المياه، منها في جبل طارق (بين المغرب وإسبانيا) التي دُعيت عمود هرقل، ثمّ البوسفور الذي يربط البحر الأسود بالبحر المتوسِّط.

٧ من يقدر أن يكفي سيِّدَ الطبائع،
أن يبصَّ في جوهره، ويبحث في أبوَّته
أن يمسَّ عظمته ويقول: كيف هو؟
فهو خفيٌّ عن الكلِّ في كلِّ شيء
ولو أنَّه ما شاء أن يفسِّر نفسه لنا،
لما استطاع أحد في الخليقة أن يترجمه.
٨ إن هو تنازلَ إليك، فليبيِّن لك أنَّه الابن
فاسجد، يا جاهل، وأدِّ الشكر لأنَّه أهَّلك لهذا كلِّه
آمنْ وتثبَّت. ولا تتَّحرَّ معه
ولا تدخله إلى الدينونة، ليكون موضوع جدال
فطبيعةُ جوهره لا كلام فيها
في الصمتِ خُتم البابُ مُسكِتُ المتكلِّمين.
٩ هكذا يتخاصم معه الشعبُ بتساؤلاته:
من هو؟ ابن من هو[٥]؟ وكيف أتى ويأتي[٦]؟
ظنّوا أنَّه من الصعب أن تلد البتول[٧]
فجدَّف الشيوخ والكتبة
فولدوا هم لأنفسهم مسيحًا لا وجود له
خرافة فكر وتكهُّنات ذهن.
١٠ إمنعْ فكرك بحيث لا تجور[٨] وتلد لنا

(٥) مت ٢٢: ٤٢: «ابن من هو؟»
(٦) مت ١٧: ١٠: «يجب أن يجيء».
(٧) عليهم ردَّ مت ١: ٢٥: ما عرف يوسف مريم حين ولدت يسوع. ولدته وهي بتول. وهذا ما لم يرضَ عنه التلمود، فجعل مريم «زانية» لا سمح الله، مع جنديٍّ رومانيّ. تلك قمَّةُ التجديف. ويريدون أن لا يهاجم افرام اليهود!
(٨) ܠܐ ܬܙܢܐ. أو: تفجر وتقترف زنى. الزاني هو من يخون الربّ، فيعبد ما ليس بإله. مثل هذا المسيح الذي يعبده اليهود هو «صنم» من تخيُّلاتهم.

مسيحًا لا وجود له وتكفر بذاك الذي هو.
احذرْ، لا تعبد صنمًا في تعقُّبك
احذر، فلا تصوِّر في ذهنك
تكهُّن وجدانك وولادة حساباتك
فيتصوَّر في فكرك ولادة الحقّ.

١١ البصُّ فجور، والبحث فيه زنى
فجرتَ بتعقُّبه فحبلتَ وولدتَ لنا
مسيحًا ركبته وابنًا أتقنته(٩)
وهكذا شابهت الضالّين في كلِّ شيء.
انتظر اليهود خرافة معرفتهم
وعمل أبناء الضلال لتكهُّنات حكمتهم(١٠).

١٢ ترك الشرّير شركًا رماهم في التيهان
رأى أنَّ البصَّ هاوية ابتلعته
فالبصُّ يبتلع الكافر بدل الهوّة
ولو لم تتعب لتصعده.
فحساباته التي تجعلك ترتبط به،
جعلته يقطع رجاءه بحيث يكون هناك بيته(١١).

---

(٩) ذاك ما قال الأريوسيّون. رج ١٧: ١٠ في التوازي بين «ܒܪܐ» و«ܥܒܕ» هذا ما يقابل في اليونانيّة κτισμα

(١٠) هم اليونان. رج ٢: ٢٤. نتذكَّر كلام الرسول بولس حول حكمة اليونان في ١كور ١: ٢٠.

(١١) الأسماء التي نقرأها في الكتاب المقدَّس، هي وحدة متكاملة. فلا نستطيع أن نلغي اسمًا لئلاّ نلغي في الوقت عينه سائر الأسماء. هذا ما نسمّيه الهرطقة. الله واحد كما يقول اليهود. وهذا صحيح. ولكنَّه أيضًا ثالوث. ويعود أفرام إلى الطبيعة فالرقم ثلاثة موجود فيها. فلماذا أفكار ألوهيّة الابن، ولماذا البحث عن هويَّته. ولماذا إنكار بتوليّة مريم؟ مثل هذا الموقف يقترب من الزنى والفجور. وهو يتواصل اليوم مع موقف الأريوسيّين.

النشيد الخامس والأربعون[١]

العين بالنور والوجدان بالكتاب

١ العين والوجدان يعلِّمان الواحد الآخر
فإن سقط في عينك شيء صغير
بلبلها وأفسدها. وهكذا وجدانك.
كتاب[٢] يجعلك حكيمًا، والشمس أيضًا
النور يليق بالعين، والحقيقة بالوجدان
اختر النور لعينك ولوجدانك الكتاب.

اللازمة: السبحُ لخفائك، يا ابن العليّ!

٢ كم تبغض العينُ ما يسقطُ فيها
وهمسة الشرّير تُرمَى في فكرنا
نثرةٌ هي قاسية للعين كما هي قاسية للنفس
همسة تُفسد الكلَّ في كلِّ زمان
والعين لا يساعدها اصبعًا تهاجمها،
ولا الوجدان بصًّا ينشب فيه.

٣ أسهل علينا أن نفهم أبوَّته من أن نفهم جوهره[٣]

---

(١) اللحن عينه.

(٢) ܟܬܒܐ. هو الكتاب المقدَّس. بالوجدان نقرأ الحقيقة على ضوء الكتاب المقدَّس. كما تحتاج العين إلى النور لكي ترى الأشياء، وقشّة صغيرة كافية لتفسدها. وكذا نقول عن الوجدان في قراءته الكتب المقدَّسة.

(٣) ܐܝܬܘܬܐ. الكينونة. هذا ما يقابل «ܐܝܬܐ»، الكائن الأزليّ. يصعب علينا أن ندرك أنَّه من لا شيء. ففي خبرتنا، كلُّ شيء يعود إلى شيء آخر. ولكن لا نستطيع أن نجعل الكائن الأزليّ مع المخلوقات.

لا يمكن أن يأتي كائن آخر من مكان ما
ولكن يقدر أن يلد ابنًا يشبهه
سهل أن يكون شيء من شيء
وبالنسبة إلى الكائن، يصعب أن لا يكون من شيء!
وإذ هو يحمل كلَّ شيء، يسكن في كلِّ شيء.
٤ فإن هو حلَّ في مكان، يكون المكان صغيرًا لعظمته
لأنَّه هو أكبر ليُوجَد حالاً في مكان
وهو يكون محدودًا مع أنَّ لا حدود له
المدى لا يكفي لكي يدركه
فكيف لا يستطيع أن يكون مملوءًا كلُّه
هكذا لا يستطيع أن يكون مملوءًا بوجدانه.
٥ وإن امتدَّ المكان معه بمعرفته
فلا يقدر أن يمتدَّ معه بجوهره
فتكون معرفته أكبر من جوهره
ويُوجَد مركَّبًا من اثنين
ولكن لا يبدو أنَّه واحد في اثنين
وصغارته تعارض عظمته.
٦ ما لنا أحد يعرف، في هذا المكان،
بوجود كائنات لا حدَّ لها، وعوالم وخلائق
وهكذا سقط الجهّال وتاهوا في التجاديف
وهكذا جاء الوقت لكي يقولوا:
الآب هو من ذاته، والآب هو من ذاته.
هو تامٌّ، كامل، وهو في كلِّ شيء يكفي ذاته.
٧ وإن هو حلَّ في مكان، كان المكان صغيرًا لكبره،
وإن هو ما استطاع أن يلد، تكون أبوَّته محتاجة
وإن هو ما استطاع أن يخلق، يكون ضعيفًا في جوهره

إنَّه كلُّه تامٌّ في كلِّ شيء
ولدَ وما تألَّم، خلقَ وما تعب
وحلَّ في كلِّ مكان، وكان غنيًّا ولا كنز له.
٨ ما من مكان يحاصره ويحبسه
وما من تعقُّب يبصُّ فيه فيكفيه
جوهرُه كبير وهكذا أبوَّتُه
فالمكان غُلب وقُهرت المعرفة
فكيف يكفي لجوهره ما ليس بمكان
والوجدان كيف يكفي ليبصَّ في أبوَّته.
٩ مع أنَّه حقيقيٌّ يصعب تعقُّبُه
كيف خلق شيئًا وليس هناك من شيء
فليس من برهان يكون البحث فيه ممكنًا
وإذ لا مكان في هذا الكلام
حيث يريح وجدانك وتقول: هكذا كان،
آمنتَ وتمسَّكتَ بعلوِّ التعقُّب.
١٠ إذا لا يكفي ذهنُك، في بلادته،
أن يتطلَّع بعمل خلقه، أطلبْ وسيلة أخرى
لتريح من جهة نفسك وتكون راضيًا:
«كلُّ شيء سهل لربِّ الكلِّ»(٤)
اليقين الذي فيه يُسكن البصَّ في المخلوقات
إلبسْه وغنِّ صامتًا من البحث في ولادة الابن(٥).

(٤) ذاك الكلام توجَّه إلى سارة، زوجة إبراهيم، رج تك ١٨: ١٤. وردَّده الملاك جبرائيل في لو ١: ٣٧.

(٥) كما تحتاج العين إلى النور، كذلك الوجدان إلى الكتب المقدَّسة. ويبقى السرّ: كيف يكون الله من لا شيء، مع أنَّ خبرتنا البشريّة تجعل كلَّ شيء يأتي من شيء. ثمَّ، كيف يكون الله في الكلّ، وهو من لا يحدُّه مكان ولا زمان؟ إذًا، كيف نستطيع أن نعرفه؟ لا شيء مستحيل على الله. ننتظر لنعرف.

النشيد السادس والأربعون[١]

حقيقة الابن[٢]

١ زجرًا، يا وقحون. لا تهمسوا فتكثروا!
السمك تخمُه النهر، سورٌ لا يعبرُه.
عبرنا بتعقُّبنا التخمَ الذي يحيينا
نسَمُ البشارة (الإنجيل) يحملنا.
للسمك وهب المياه، والكتبَ المقدَّسة للمميَّزين
في داخلها الحياة، والموتُ خارجًا منها.
اللازمة: السبحُ للآب
الذي أوضح أنَّ ابنَه مولودُه هو.
٢ من تجرَّأ يا ابني، ودخل حيث لا هواء،
مات، لأن ليس هناك نَسَمًا يُحييه.
نتعلَّم إذًا أنَّه لا يحقُّ لنا الدخول إلى الخفايا
نسمة مثلَّثة تحملك
وإن خرجتَ منها لكي تتعقَّب
طارت نفخةُ الضلال وقتلتك.
٣ الجاهل سأل غاضبًا: لماذا يكون ابنٌ لله؟
إن ولدَ حقًّا، يحقُّ لنا القول: أساء إلى نفسه.

---

(١) اللحن عينه.

(٢) هنا يعود أفرام إلى الأريوسيّين، هؤلاء الوقحين! ويتطلَّعون إلى «ولادة» الابن من الله، ويعتبرون ذلك مستحيلاً.

لماذا عينك شرِّيرة[٣] لأنِّي صالح فولدتُ
ما كان حسودًا حيث أنت حسود[٤]
أترك كلَّ هذه، وابحث أين هي إرادتُه
لقد أراد الآب أن تؤمن أنَّ ابنه هو منه.
٤ إن هو أراد هذا، لَسالمت حقيقتُه اسمَه.
وإن هو ما أراد عارضت هذه الحقيقة اسمه.
مستعارٌ هو اسم الآب، مستعارٌ اسم الابن
اسمه موضوع إيمان، وحقيقيٌّ اسمُ ابنه
إمتدِحْ ولا تقنطْ لأنَّ صوتك يشجِّعك
صوتُه مثل رهن هو، يصرُخ في شأن ابنه.
٥ تامار بعملها[٥] الذي كان قاسيًا،
أخذت المؤمنةُ شاهدين انتصرت بهما
أخذت منه رهنًا ليَخرج ويكون حكَمًا معها
خرج الصامتان (الشاهدان) وجعلاها تنتصر
إعرَفْ أنَّ يهوذا غُلب برهنيه[٦]
وإن هو لامَك، كتُبُه في داخلك[٧].
٦ ما من إنسان آخر صرخَ لتكون في ارتياب[٨].

---

(٣) مت ٢٠: ١٥. ذاك ما قاله صاحب الكرم لأوَّل الواصلين إلى كرمه.

(٤) ذاك كان وضع العمّال الذين اعتبروا نفوسهم مغبونين. «لماذا أنت حسود» (مت ٢٠: ١٥). أمّا الله فلا حسدَ عنده.

(٥) مع حرف الجرّ (الباء) كما في B، لا مع الموصول (الدال): تامار التي عملُها.

(٦) تك ٣٨: ١٢–٢٦. كانت تامار كنّة يهوذا (ابن يعقوب). رفض أن يزوِّجها ابنه. احتالت عليه، أخذت منه خاتمة وعصاه كشاهدين عليه، وهكذا غلبته.

(٧) يهوذا يمثِّل الشعب اليهوديّ، كيف تغلبه؟ بالكتب المقدَّسة، ولاسيَّما العهد القديم.

(٨) على جبل تابور، من تكلَّم؟ الآب. رج مت ١٧: ١–٩: «هذا هو ابني الحبيب». ما تكلَّم موسى ولا إيليّا اللذين كانا مع الابن.

موسى وإيليّا كانا ساكتين، صمتا.
وذاك الذي عمَّده، كان وكأنَّه ما عرفه(٩)
أعطى مكانًا لكي يثبِّته أبوه
وإن هو لامكَ، ردِّد له أقوالَه
انشقَّت السماوات وصرخ (الآب) فقطع الطريق على الخصومة.
٧ وإن هو حلَّ الكلمة فقال: «ها البشر
دعاهم أبناء»(١٠)، حلَّت هي ذاك الذي حلَّها(١١):
فقد بيَّن أنَّ طبيعة البشر من تراب(١٢)
وطبيعةَ الملائكة بيَّن(١٣)
على ابنه قال: هو الابن. وعلى روحه قال: هو الروح القدس
شَّف هذه التي بلبلتنا ووضعها جانبًا.
٨ عرف(١٤) أنَّه إن دعا المائتين، أبناء،
وبَّخهم جسدُهم، لأنَّ طبيعتَهم صنعة الله هي.
فنعرف(١٥) أنَّ الملائكة زملاؤنا

(٩) وفي الأردنّ، الآب هتف، لا يوحنّا المعمدان، فثبَّت (ܫܪܪܗ) حقيقة الإبن. «انشقَّت (ܦܬܚܘ) السماوات (مر ١: ١٠) وهتف الآب: أنت ابني الحبيب (آ ١١).
(١٠) مز ٨٢: ٦: «أنا قلتُ أنتم آلهة». وردَّد يسوع الكلام في جداله مع اليهود، فبيَّن الفرق بين ارتباطه بالله وارتباط البشر به (يو ١٠: ٣٤-٣٦). عاد أفرام بلا شكّ إلى تك ٦: ٢ والكلام عن أبناء الله تجاه بنات البشر. أبناء الله في نظره هم الأبرار، أبناء شيت، وبنات الناس بنات قايين الخاطئ.
(١١) ܫܪܐ: حلّ، أضعف، جعل الكلام وكأنَّه لم يكن.
(١٢) الإنسان هو من تراب، فكيف يترفَّع؟ رج تك ٢: ٧.
(١٣) وطبيعة الملائكة معروفة. هم يسجدون للابن. رج كو ١: ١٦؛ فل ٢: ١٠ (كلُّ ركبة في السماء): عب ١: ٤ي: هو الابن، والملائكة خدّام.
(١٤) ܝܕܥ (من دون الدال) كما في BC. في A تضاف الدال.
(١٥) نقرأ مع BC: ܕܢܕܥ: لكي نعرف. لا «ܘܢܕܥ» كما في A. يبدو أنَّ الناسخ كرَّراللفظ مرّتين.

وإن جعلَتْهم طبيعتُهم أرفعَ منّا،
فهم لا يُدعَون أبدًا أبناء الله
هكذ لا يبلبلنا اسمُهم بسبب طبائعهم.
٩ امضِ، ادعُ آدمَ الترابيّ، ولا تسأل
وادعُ جبرائيل الذي هو روحانيٌّ[١٦]
في الصمت أختمُ هؤلاء الثلاثة[١٧]،
إن طالبك إنسان، (تقول): كُتب لك[١٨]
تعليم العليّ، طبيعة السفليّين.
ما كُتب لك أن تبصَّ في الأقانيم الثلاثة.
١٠ إعصَ نفسك، يا جاهل، وامضِ بكلّيّتك وراءه[١٩]
وفي كلِّ ما يقول لك، لا تنظر إن كان يليق (أم لا)[٢٠].
الوجدان لا يكفي أن يعطيه مشورة
إن تثبّتّه حتّى الآن، هو صغير
وحين تؤمن به حقًّا، أسجد سجودًا،
فقد أنزل حقيقةَ أقواله إلى أذنٍ من تراب
١١ يا للعجب! الله تنازل إلى التراب!
زيّنه (= الإنسان) بالحياة، وعظّمه بالحرّيّة
وسلّم ابنه من أجله، ليبيّن له حبّه

(١٦) واحدٌ جُبل من التراب. فهو ترابيّ. والآخر خُلق في عالم الأرواح. فهو روحانيّ. ولكنّه يبقى خليقة. لا سجود للملائكة كما للابن. هذا واضح من سفر طوبيّا (١٢: ١٦). لا انحناء أمام الملك ولا خوف. فرفائيل واحد من الخدّام السبعة (آ ١٥) والرائي في رؤيا يوحنّا، حاول أن يسجد مرّتين للملاك فمُنع (رؤ ١٩: ١٠؛ ٢٢: ٨). وفي المرّتين قيل له: اسجد لله.

(١٧) أقانيم. ولا تتكلّم عنهم (المقطع ٧).

(١٨) هكذا أجاب يسوع الثلاّب. رج مت ٤: ٤، ٧...

(١٩) نذهب في إثر الكتاب المقدَّس وكلام الربّ. وهكذا نردُّ على الأريوسيّين: كُتب.

(٢٠) هو البرهان الفلسفيّ مع «ەلا». نُشغل العقل ونترك الوحيَ جانبًا.

وبدلاً من أن يندهش، كم عظُم،
ولو أنَّه اندهش وصمتَ، لكان هذا قليلاً حتّى الآن.
فأنزل الوقار الإلهيّ إلى لعبة يتعقَّبها.
١٢ دُعوا آلهة، وهو إله الجميع
دُعوا آباء وهو الآب الحقيقيّ،
تكنّوا أرواحًا وهو الروح الحيّ.
أبناء وآباء دُعوا.
هي أسماء مستعارة تعلِّمُنا بنعمة منه،
أنَّه وحده آب الحقّ، وله إبن الحقّ[٢١].

(٢١) السمك في النهر، لا يتجاوز السور. والكتب المقدَّسة هي تلك المياه. تخرج منها فتموت. وهي الهواء الذي نتنفَّسه. ويطرح الأريوسيّ الوقح السؤال: لماذا هناك إبن الله؟ ويأتي البرهان الفلسفيّ مع «يليق أو لا يليق، يمكن أو لا يمكن». ساعة يجب أن نصمت أمام ما يقوله الكتاب. في مثل أوَّل، عاد أفرام إلى تامار، كنَّة يهوذا. معها شاهدان. وقدَّم مشهد التجلّي كشاهد أوَّل ثمّ العماد كشاهد ثانٍ. واعترض المجادل: البشر كلُّهم آلهة. فجاء الجواب من إنجيل يوحنّا.

النشيد السابع والأربعون[١]

حكمة الله وحكمة البشر

١ عملُ الصنّاع، نسيجُ الحكماء
الأنيار والتراكيب، المنحوتات والمصاغات،
الكتب والحسابات، الكيول والمساحات،
وجدها بنو البشر بالحكمة:
يرون مساحة الأرض، يزنون ثقل المياه،
هي سهلة للعارفين وصعبة للبسطاء.
اللازمة: السبحُ لمعرفتك
التي وهبت الحكمة لبني البشر.
٢ وإن كان البسطاء لا يقدرون أن يصّوا في الأمور الحكيمة
التي تتجاوزهم قليلاً في مدى التعليم،
فكم تبقى حكمةُ الحكماء
بعيدة عن خالق الكلِّ بحكمته
وكم يجنُ من يظنُّ أنَّه يتعقَّب، يبصُّ
طبيعةَ الخالق وابن صانع الكون.
٣ يا للدهشة! بواسطة هذه الصغيرة والناقصة،
هذه الطبائع التي لا نقدر أن نكفي أسرارها
جمال الإله الحقيقيّ وولادة الحقِّ
أتاهت الباحثين، في كلِّ شيء

(١) اللحن عينه.

إن كانوا لا يبلغون إلى الخلائق فيتعقَّبونها
فكم يُتركون بعيدين عن ذاك الذي هو فوق الجميع.
٤ بقاؤنا داخل أطوار الجليّات القصيرة
بيَّن أنَّ مدى حساباتنا
لا تبلغ إلى الابن الذي لا كفوء له،
ولا من يمسُّ بداية أبيه الخفيِّ عن الجميع في كلِّ شيء
الإنسان يمدُّ معرفته ووجدانه،
لا يُمسَّ أين، ولا يُدرَك كم.
٥ إندهشْ بالخلائق، ووقِّرْ الخالق
ولا تتحرَّ ولا تبصَّ في الكيان الذي هو أعظم من الجميع
هو مجدٌ فارغ علّةُ تعقُّبك
فأنت طبيعة ضعيفة، شقيّة
أُخرج، إمضِ، انظر عارك في جهادك
حيث ضحك عدوُّك عليك، وأنتَ معه.
٦ إعرف أنَّ الترفُّع علَّةُ خصومتك
فلا الأنبياء بصُّوا في هذه، ولا الصدّيقون
والرسل ما تعقَّبوا، ربَّما كانوا بسطاء
موسى يوبِّخُك وهو من هُذِّب
شلح، رمى عنه حكمة المصريّين[٢]
وكتب الحقيقة، في بساطة، في جلاء.
٧ هُذِّب أيضًا دانيال، وتعلَّم في بابل
حكمةً غير وافية حتّى للبعير[٣].

---

(٢) أع ٧: ٢٢: تعلَّم حكمة المصريّين. هذا ما قال عنه اسطفانُس في خطبته أمام رئيس الكهنة.
(٣) ܒܥܝܪܐ. هو من لا فهم له. نلاحظ رفعة الحكمة الإلهيّة على كلِّ حكمة، حتّى تلك الآتية من مصر (موسى) أو الآتية من بابل (داينال).

جمعُ الحكماء دخلوا ليجرِّبوه[٤]
كسف الجميع في كلِّ حكمة
عرف أنَّ كنز الأمور الجليّة أغلِق
فوَهبت له الصلاةُ مفتاحَ التفاسير.
٨ تفوَّق همسُه على كلِّ الأبرار
وسمع أنَّ الكلمة مختومة في الخفاء.
فختم فمه بالصمت، ووضع حدًّا لسؤاله[٥]
ومن أجل أبناء شعبه غُلِب[٦]
فسأل بتميُّز. وإذ عرف أنَّه إنسان
سأل عن الناسوت، ووقَّر اللاهوت.
٩ أضاع الوقحُ طبيعته: بشريّة هي
ترك الناسوت وتعقَّب الكيان الإلهيّ[٧]
إن أضاع طبيعته، ففي طبيعة من يصُّ؟
أضاع قياسه فأخذه الدوار
لو نفض خمره وعرف أنَّه مائت،
لسكت وحافظ على قياس المائتين.
١٠ أنظر إلى دانيال. إذ كان نبيًّا
سأل الملاك ليعلِّمه الأمور البسيطة[٨]
والجهّال طلبوا الخفايا وبيَّنوها واحدة واحدة!
وموسى أيضًا النبيُّ المجيد

(٤) دا ٢: ٢: السحرة، المجوس، العرّافون...
(٥) دا ٨: ٢٦ (لا تُبحْ بشيء من هذه الرؤية)، ١٢: ٤، ٩.
(٦) دا ٩: ٣ي: «فتطلَّعتُ إلى السيِّد الإله، وطلبتُ...».
(٧) ܐܝܬܘܬܐ: الكينونة. الجوهر الإلهيّ.
(٨) دا ٧: ١٦: سألتُه عن حقيقة هذا كلِّه.

سأل في المخافة، عن اسم «إهيه»[٩]
ونحن تعقّبنا خفاءه، لاعبين!
١١ الرسول أصغر من الوقحين
دخل إلى مدينة اليونان، أمِّهم
كلَّمهم في لغتهم ليعرِّفهم أنَّه يعرف[١٠]
وإذ غلب ونزع سلاحهم
سرَّح لهم الحقيقة: أفلتوا دواء الحياة[١١]
لأنَّ مرضهم طال في عاصمة التعقُّبات.
١٢ في الجهاد، خذْ لك مقعدًا لترى الرائين:
في موضع جليٍّ، خرج قدّامهم الإكليل.
هم لا يقدرون أن يتطلّعوا في الأمور الجليّة
حين يتحرّون ويتقاتلون ويتخاصمون
وإن بيَّنتَ لهم أنَّه فاشوا في الأمور الجليّة،
فكم يطفو الجهّال في بحر الأمور الخفيّة.
١٣ إذهب أيضًا واطلب جمعًا كلُّه سكون وصفاء
وأَدخل البحث هناك، وارمِ الخصومة
خذْ لك مقعدًا وتبيَّن الناس المجانين
الساكنون مبلبَلون ومبلبِلون
واحد يتربَّص هناك وكلُّهم يصيحون معًا
البصُّ كالدخان، يُعمي الكثيرين[١٢].

(٩) خر ٣: ١٤. كذا في البسيطة، كما في العبريّة. وهذا ما يقابل يهوه (الكائن الذي هو). كذا في BC . وصحَّح A فقال: ܐܠܗܐ: إلهه.

(١٠) أع ١٧: ١٨: يجادله الإبيقوريّون والرواقيّون.

(١١) أع ١٧: ٣١ي: القيامة من بين الأموات.

(١٢) هناك أصحاب الصنائع. يتوقَّفون عند سرِّ الطبيعة، فيدلّون على حكمتهم .أمّا أصحاب البحث، الأريوسيّون، فيريدون أن يبحثوا في الابن وفي أبيه، بواسطة العقل. أيُّها الإنسان، أنت خليقة ضعيفة ينظر إليك الشرّير فيضحك، وأنت في النهاية تضحك من نفسك. موسى النبيّ سأل. وكذلك دانيال. وساعةَ الصمت صَمتا. وأخيرًا، بولس الرسول وقف أمام الفلاسفة وتكلَّم لغتهم وأخذ منهم سلاحهم، ومع ذلك، جاء في أثينة، أمِّ المدن اليونانيّة، من يتابع البحث فيتبلبل هو ويضع البلبلة حوله.

النشيد الثامن والأربعون[(١)]

إفتح يا ربّ حواسي[(٢)]

١ هبْ لي أن أفتحَ لحبيبك حواسي
هو وحده يقدر أن يخبر عنك[(٣)].
فالذي ليس منه، ويتعلَّم عنك كما أنت،
يضلُّ كثيرًا حين يظنُّ أنَّه وجدَك
في المؤمنين تُصوَّر الأسماء الثلاثة:
لا سبيل للجدال فيها أبدًا. لا سبيل لإدراكها أبدًا.

اللازمة: هبْ لنا
فيعترف بك جمعنا بلا انقسام.

٢ إن كنّا نستطيع أن نفي نفسنا في كلِّ شيء،
كان لنا ربٌّ كلِّ شيء، جدَّ محتقر
وإن نحن كنّا كورًا متعقِّبًا
ما من إنسان يزيح في كلمة،
ساعة تشبه نفسُنا اليد
التي لا تقدر بدون علم أن ترسم المكتوبات.

٣ ها الكثيرون ضلُّوا وهم غير راضين
وهذا ما يعلِّم، بدون خصومة،

---

(١) اللحن عينه.
(٢) الإنسان محدود. وهو بالتالي لا يقدر أن يحيط بسرِّ الابن. هو كالسمكة في الماء، إن خرج مات.
(٣) يو ١ : ١٨: الإله الأوحد أخبر عنه.

أنّنا لسنا الكور لكلِّ شيء
فمنّا وبنا نعرف أنَّه واحد كما علَّمنا كارزوه
خلقَتُنا هي على مثال العين. فمنها ولها هي عمياء
ولا تستطيع بدون النور أن تميِّز الألوان.

٤ لنا أظهرَ النورَ، لنا كتبَ الكتب
نوره للجلايا، كتبُه للخفايا
في البداية، بالأمور الجليّة، والآن بالنواميس[٤]
نوره وناموسه، بدون حسد.
السراج بشعلته يصرخ للرائين
بأنَّ حقيقة الناموس تُدرَك في شعاعاته.

٥ الطبيعة هي معلِّمة لنا في كلِّ شيء
وكلُّ إنسان يتعلَّم حسب قوَّته، وحسب تعبه
فمن لا يتعلَّم يُحسَب بين الحمقى
قابل الواحد بالاخر واقتنعْ
أنَّ من لا يُخضع نفسه لمعلِّم الكلّ،
يُكنّى بارًّا، وضالاً في حرِّيَّته.

٦ صعب على الإنسان أن يوبِّخ الغبيّ[٥] والأحمق
يصوّر بلا معرفة، يصوغ بلا حكمة
نستطيع أن نوبِّخ من لم يتعلَّم
في حالة يُفلت، وفي هذه يُدان
والآن لا يظنُّ بذلك أنَّه أفلت
وجد أنَّه أفلت فإذا منه كانت دينونته.

(٤) في العهد القديم كما في العهد الجديد (ܢܡܘܣܐ).
(٥) ܒܘܪܐ: الأرض البور. لم تُفلَح ولم تُزرَع.

٧ أطِلْ للسمك، أرخِ له، لتخور قواه
لأجلك قاتل فكان تعبُه معارِضًا له
يأتي لك بالإكليل في سعيه، ولا يشعر
يهزأ بالوقح والضالّ
حين يُغلَب بما له. وحين يظنُّ أنّه يقود
يقوده الصيّادُ بحسب إرادته.
٨ وإذ السمك لا يقدر أن يمسَّ البحر الذي يقيم فيه
يريد أن يشقَّ الهواء، يريد أن يبصَّ في العلى
وإذ هو لا يقدر أن يحيا في موضع ليس موضعه،
هذا السمك أضلَّه تقلُّبه في الماء
وثب واستعلى، ليصعد فيحسَّ الهواء
فبدَّدته النسمة، وأرسلته إلى المياه.
٩ وبما أنّه ابن المياه، ظنَّ
أنَّ كلَّ شيء يسكن في المياه. فأقنعه نهرُه
أنَّ مسكن الغرف الصغيرة غريب فلا يُبَصُّ فيه
ومسكنه ليس غريبًا عن مسكننا.
فبحثنا هو غريب وغير قادر
أن يبلغ إلى العلويّين ويبصَّ في طبائعهم
١٠ نار الإنجيل مثل جيحون[٦] يسقي
بالفرات رُسم خصبه الذي أكثر تعليمه

(٦) استعاد أفرام ما قيل عن الفردوس في تك ٢: ١١–١٤، وتلاعب على الكلام بين «ܓܝܚܘܢ» وفعل «ܓܚ»، فار، غلى. بين الفرات و«ܦܪܐ»، خصبه، انتشاره، بين «فيشون» و«ܦܫܫ» توقُّف، انقطاع. وبين دجله والفعل «ܕܩܠ»، غربل. نفعل كالسمك فنعرف حدودنا ولا نتجاوزها. وإلاّ انتظرَنا الموت.

يفيشون صُوِّر نمطُه ونهاية التعقُّب
غربلَنا كما بدجلة بكلمته،
لنسبحْ ونصعد به إلى لقاء الفردوس
فلا تعبر السمكات تخوم الحياة[٧].

(٧) لا نستطيع أن نصل إلى سرِّ الله إلاّ عبر الابن. وإن كنّا لا نستطيع أن نعرف ذواتنا. نحن مثل كور من نار، ولكنَّه لا يستطيع أن «يحرق» كلَّ شيء. لهذا أعطانا الله النور كما يمكن أن نراه، والكتب المقدَّسة لما خفيَ علينا. وبعد الكتاب عاد أفرام إلى الطبيعة وتطلَّع في السمك: أرخِ له، طوِّل له، فيظنُّ أنَّه يستطيع أن يمضي حتّى خارج الماء. مسكين. لا تقوده إرادته، بل إرادة الصيّاد. فلا يبقى للإنسان سوى أن يعرف حدوده ويقف عندها فتكون له الحياة، كما في الفردوس.

النشيد التاسع والأربعون[١]

نوح والطوفان[٢]

١ كم ازدهى نوح، كم كان بارًّا
في مقابلة مع كلِّ أبناء جيله[٣]
خسروا في الميزان حين وُزنوا في ميزان البرارة
نفسٌ واحدة وازتهم بسلاح النقاوة. غرقوا في الطوفان.
هم كانوا خفيفين في الميزان، ورُفع هو في السفينة.
هو النقيُّ والوقور! السبحُ لمن رضيَ به.

اللازمة: السبحُ لسيادتك

٢ بسط نوح خدمته بين جانبين اثنين
ورسم نمطين اثنين. ختمَ ذاك الذي عبر
ودخل في ذاك الذي أتى. وبين جيلين اثنين
خدم سرَّين اثنين. صرفَ القديمين
ودعا الآخرين. قبرَ الجيل العجوز
وأنمى جيل الأبناء. التسابيح لمن اختاره.

---

(١) اللحن: قطيع برديصان. «ܚܣܝܢܐ» قريب من السواد (ܚܣܢ). نشير إلى أنَّ برديصان اعتقد بالقدر في خطِّ الفكر اليونانيّ، هذا القدر يلغي حرّيّة الإنسان، وبالتالي يقطعه عن مشيئة الله. بدأ هذا النشيد بثلاثة حروف من اسم أفريم (ا ف ر). وفي النشيد الثاني حرف الياء مرّة واحدة والباقي حرف الميم. ويتواصل حرف الميم في النشيد ٥١–٦٥ لنعود بعد ذلك إلى الحروف الأبجديّة (أ ب ج د...)

(٢) عاد أفرام إلى تك ٦–٩ في كلام عن نوح الذي تميَّز عن عصره، فجمع الكلَّ في السفينة (في الفُلك) التي أمره الله ببنائها.

(٣) ܒܕܪܗ. رج تك ٦: ٩. «ܙܟܐ» يعني انتصر. كما يعني: كان بارًّا.

٣ طارت في الطوفان، سفينةُ ربِّ الكون
من المشرق خرجت، وإلى المغرب استندت
حلَّقت فوق اليمين وقاست الشمال
طيرانُها فوق المياه نبيٌّ(٤) لليباسة
كرز بأنَّ جيل الأبناء سينمو في كلِّ الجهات
ويكثر في جميع الأطراف. التسابيح لمخلِّصه(٥).

٤ رسمتْ في جريها علامةَ حافظها:
صليب البحّار، وخشبة الملاّح
أتى فركَّب لنا البيعة في المياه
وباسم الثلاثة أنقذ ساكنيها
والروح بدل الحمامة خدم مسحتها
وسرَّ خلاصه. التسابيحُ لمخلِّصه.

٥ أسراره (= المسيح) في التوراة، أنماطه في السفينة
الواحد يشهد للواحد: كما كانت فارغةً
أحضان السفينة، هكذا فرغت
الأنماطُ في الكتب، بمجيئه،
وضع حدًّا لسرِّ الشريعة، وتمَّت في الكنائس،
أنماطُ السفينة. السبحُ لمجيئك!

٦ تاه وجداني حين سقط في طوفانه،
طوفان مخلِّصنا المخيف. طوباه نوح.
مع أنَّ سفينته، فلكه، طافت في الطوفان
كانت نفسه مجموعة. ربّي، فليكن إيماني

(٤) النبيّ هو من يكشف سرَّ الله. فيا ليت اليابسة تفهم خطيئتها فتنال الخلاص.
(٥) ܦܪܘܩܐ. المخلِّص. هو لقب يسوع المسيح. وهكذا امتزج العهد القديم بالعهد الجديد.

سفينةً لضعفي. ها الجهّال غرقوا
في العمق ليتعقّبوك. التسابيح لوالدك[٦]!

(٦) انطلق أفرام من نوح الذي بقي بتولاً مدّة ٥٠٠ سنة قبل أن يلد سامًا وحامًا ويافث (تك ٥: ٣٢). وقابله بالمسيح. وقابل بين جيل مضى وعبر، وآخر آتٍ. ترك العابر وأخذ بالجيل الجديد. وهكذا انتقل يسوع من العهد القديم بفراغه فملأه بالجديد. والسفينة صارت رمزًا إلى خشب الصليب. غرق الخطأة. والباحثون في سرّ الله يغرقون فيدلّون على جهالتهم. ولكنَّ الكنيسة (حـ‍ـا، البيعة) تبقى فوق الماء، مثل سفينة نوح. المخلّص هو هنا. ونحن نتعلّق به، بالإيمان.

النشيد الخمسون[١]

الخلق وحسد الشيطان[٢]

١ كان الابن مع أبيه قبل الكون كلِّه
وعبر كلِّ الأزمنة. به خُلقت الأزمان
في القديم، الأعداد والأطوار والأوقات
لا بصَّ: كيف؟ ولا إدراك: متى؟
ولا جدال: لماذا؟ ولا قياس: كم؟
ولا مساس: أين؟ التسابيح لوالده!
٢ من لا يسكت فمه أمام الابن
فالأفواه لا تكفي للكلام عن مجده
من لا يلوم نفسه ويحسب:
هل يُدرَك الابن؟ صغَّروا والده
وحين بصُّوا في الثمرة وضعوا حدًّا لجذرها[٣]
فالواحد مُزج في الواحد. السبحُ لأبيك، بك!
٣ من لا يخجل إذ يحبس
في حضن الفكر الصغير، البصَّ الذي لا كيل له،
البحثَ الذي لا قياس له، في الابن ووالده.

(١) اللحن عينه. مع حرف الياء في المقطع الأوَّل. ثمَّ حرف الميم في المقاطع التالية وحتّى نهاية النشيد. غابت الأناشيد ٥٠–٥٢ من A، وتشوَّهت مقاطع في B. لهذا، أخذت من C. نلاحظ أنَّ اللازمة غابت.

(٢) موضوع من التقليد، حسد إبليسُ الإنسان بسبب كرامته، فخطئ. ولكنَّ الخطيئة تتربَّص اليوم أيضًا بالأريوسيّين الذين يبحثون في طبيعة الابن ويبصُّون.

(٣) الجذر هو الآب. والثمرة الابن. بدأوا بالابن وها هم يصلون إلى الآب.

البحثُ في الخلائق يربو على معرفتنا
والبحثُ في الخالق، ليس من يحيط به:
هو أعظم من كلِّ طبيعة. التسابيحُ لعظمته!
٤ من لا يُسكن بُصَّه في الابن
فيندهش في والده ليسهل علينا أن نعرف الابن.
«كيف هو لنا؟» هذا صعب. أن نشعر بالابن، أمر بسيط لنا
أن نبصَّ فيه، عسيرٌ علينا.
فالبحث عن جوهره خفيٌّ عن الطبائع كلِّها
فنُصعد له ولأبيه المجدَ، في الصمت. الشكر لمرسله!
٥ من لا يركع للصالح الذي وهب نفسه للتراب
لكي يشعر به. وهب للغبار(٤) الكلمة والوجدان
أرسل ابنه فلبسه (= الإنسان) وأصعده في المجد.
حسده الشرِّير: كم عظَّم (الله) الإنسان!
رماه في التعقُّب وعمق الخصومات. التسابيح لنعمته!
٦ ربَّنا، أزجر منّا الشرِّير الذي هو شرِّير مجّانًا
هو حسد آدم وهو يحسد أبناءه
مَكرَ به وأراه جمال الكلام ليبيده به
واستخفَّ بكلِّ الأجيال واحتقر جيلنا جدًّا
عجرفنا وهزئ بنا. أردانا وسخر منّا
قسَمنا وضحك علينا. السبحُ لقاتله!
٧ من لا يخجل من نفسه: كم هو جاهل!
الشرِّير يُقيم في داخله ولا يشعر بأنَّه يلازمه
هو لا يُرى بالعين، ولا تجسُّه اليد

(٤) هذا ما يدلُّ على ضعف الإنسان. ܥܦܪܐ (تراب). ܘܚܠܐ (غبار).

لا طعم له لكي تعرف أنَّه مرٌّ
لا رائحة له لتشعر بنتانته
يسكن دم كلِّ قربان(٥). مبارك من أبطله!
٨ الآن، النفسُ لا تشعر بالشرِّير
وإن هو حلَّ فيها، لا تبلغ إليه، لا تلمسه
وإن عليها سكن من الخارج لا تبلغ إليه ولا تلازمُه
وإن هو في جيرتها، وإن هو في شخصها
لا تشعر النفس. نحزن لأنّنا تواقحنا
على ابن خالقنا. لك التسابيح من الجميع(٦)!

(٥) هكذا في أناشيد نصيبين ٤٧: ١٠٣ ي.

(٦) نحن لا نبحث في الابن الذي هو مع الآب من الأزل. بواسطته خُلق الإنسان بهذه العظمة، ولكنَّ إبليس حسدَه في الماضي، مع آدم، واليوم ما زال الحسد يفعل فعله في النفوس. ونحن لا ندري. هو بقربنا، يلازمنا، يدفعنا إلى الوقاحة على ابن الآب.

النشيد الحادي والخمسون[١]

المسيح الإنسان الإله

١ من يقدر أن يردَّ الجميل؟ أحنيتَ عظمتك،
أحنيت كبرك إلى كلِّ صغارة.
أزلتَ جاهك إلى حدود الاتِّضاع
أتيت بحياتك إلى درجة الموات
فنزل غناك وحلَّ في كلِّ عوز
وأخضعتَ سيادتك لنير العبوديّة.
التسابيح لطيبتك!

٢ من يحدِّق، ربَّنا، في خفائك!
أتى فصار جليًّا،
أتيت وأنت المستور فظهرت وعُرفت
وخرجت أيُّها المحتجب إلى جلاء لا حدَّ له
وأتت مخافتُك إلى أيدي الذين قبضوا عليك
ربّي، كلُّ هذا كان لك لأنَّك صرت إنسانًا.
التسابيح لمرسلك!

٣ من لا يخاف؟ ساعة دنحك جليٌّ، جليّ
وولادتُك بشريّة.
لا تُدرَك ولادتك، فأتاحت للمجادلين

---

(١) اللحن عينه. كلُّ المقاطع تبدأ بحرف الميم، نهاية اسم افريم. من يقدر، من يتأمَّل، من لا يخاف، ربّنا (مُن) اختم فمنا... لا لازمة في هذا النشيد.

هناك من يكرز: أخذتَ الجسد فقط
وهناك أيضًا من يعلِّم: أخذتَ النفس والجسد
آخرون ضلُّوا وظنّوا أنَّك أخذت جسًما سماويًّا[٢].
التسابيح لولادتك!
٤ يا ربَّنا، أختم فمنا
إذا كانت الطبيعة الجليّة أتاهت الحكماء
فما قدروا أن يحيطوا بولادتك من مريم:
الكتبة[٣] تخاصموا فقسموا ولادتك
وإن كان الإنسان لا يدرك ناسوتك
فمن يقدر أن يكون كفوءًا لولادتك الإلهيّة!
التسابيح لوالدك!
٥ نرتِّل في كنّارتنا، يا ربّ، ما يُسمَح لنا.
لا نتكلَّم فيها ربّي شيئًا لا سلطة لنا فيه
كنّارتي ضعيفة هي، وألحانها غير كافية
لكي تتعقَّب ولادتك
ولا كنّارات العظماء والروحيّين
ولا كنّارات الملائكة العلويّين تقدر أن تدرك ولادتك.
التسابيح لخفائك!
٦ يا ربَّنا، ليكن لساني قصبة[٤] لتسبحتك
وإصبع طيبتك ترسم فيها وتكتب

---

(٢) نكتشف هنا الهرطقات المتعدِّدة. ولاسيّما تلك الآتية من عالم اليونان: الإنسان نفس وجسد. أخذ الكلمة الجسد وأحلَّ أقنومه محلَّ النفس. فصار جسدًا من دون نفس، وبالتالي لم يخلّص سوى بعض الإنسان تلك هي الهرطقة الأبوليناريّة. أمّا الجسم السماويّ فيجعلنا في خطّ الظاهريّة: ما كان الابن من لحم ودم، وبالتالي لم يعرف الضعف والمرض، ولا الموت على الصليب.

(٣) أي الأريوسيّون، في خطِّ الكتبة الذين جادلوا يسوع (ܣܦܪܐ).

(٤) ܩܢܐ. ينفخون فيها فتعطي الموسيقى.

مقالاً يساعدنا.
لا تقدر القصبةُ ربّي، بدون ماسكها،
أن تكتب بحسب مشيئتها
لا يحِدْ لساني من أن يقول، خارجًا عنك، ما لا يُعين.
التسابيح لتعليمك!
٧ وقاحةٌ هي أن ندعوك
باسم غريب عن ذاك الذي به دعاك أبوك
دعاك فقط «ابني» على نهر الأردنّ[٥].
وحيثُ تعمَّدتَ عمَّدت
عمَّدوا ناسوتك
أسرار الثالوث:
الآب بصوته، الابن بقدرته
والروح برفرفته
التسابيحُ لرفرفتك!
٨ من يقدر أن يدجّل حول الأسماء الثلاثة!
رفرفتهم خدمت على الأردنّ في البداية،
الحقيقةَ التي في الأسماء،
فيها حيث تعمَّد جسدك، تعمَّدت الأجساد
وحين كانت أسماء ربّ الكون كثيرة
عمَّدنا. وميَّزنا، بالآب والابن والروح القدس[٦].
التسابيح لعظمتك!
٩ من لا يندهش في المصوِّر
إن هو صوَّر جوادًا حقيرًا

(٥) مت ٣: ١٧: هذا هو ابني.
(٦) انطلق أفرام من رتبة العماد حيثُ تُذكَر الأقانيم الثلاثة، فبيَّن التمييز بينها. رج مت ٢٨: ١٩.

إذ يستطيع أن يضيف الرأس والأعضاء
يكون صغيرًا إن هو ما أضاف.
فيا كتبة، يا جهّال، الابن ليس صغيرًا
صغَّرتموه بتساؤلاتكم
وإذ هو لا يشبه إلاّ واحدًا جعلتموه يشبه الكثيرين
السبح لابن ملكنا!
١٠ من رأى في الهواء طريقًا ضيِّقة
مؤاخية لتلك الطريق، طريق الطيور
أو من رأى إنسانًا يمشي كما على ظهر الريح
مُدَّ الهبوبُ وصُنع السبيلُ للماشي
ويُنبَّه بأن لا يخرج أبدًا خارجًا منه.
هو الموت إن خرج منه.
التسابيح لتنبيهك!
١١ يا ربَّنا، كمِّلْ معي فأسير في هذه الرعدة
فأخاف ولا أعبر حدود إيماني
حقيقتُك صافية وقويمة:
للمؤمنين هي صافية، وللعقيمين صعبة.
البسطاء ساروا ببساطة وخرجوا
والكتبة حادوا وسقطوا في عمق التعقُّب.
التسابيحُ لمن وجده الجميع!
١٢ من الأسماء نفسها ظهر لنا وخرجت قوَّة التفسير
فأسماؤه تشهد عن العبد وابن سيِّده
فاسم العبد يعلِّمنا أنَّه ليس الابن.
واسم الابن يهتف أنَّه ليس من زملائه

أسماؤه تكرز عنه، بلا خصومة (تحرٍّ).
التسابيحُ لعظمتك!
١٣ والآن نعلِّم الوقح ما هو جديد
نلومه ونقول له:
إيماني تامّ، مرجانتي[٧] كاملة
هي لا تقبل أن تلمِّعها، ولن تكون أجمل في كورك
فجمالُها من نفسها. إن هي جُلفت
رذلها تاجُ الملك السماويّ.
التسابيحُ لملكوتك![٨]

(٧) هناك أناشيد حول المرجانة (٨١-٨٦). هي اللؤلؤة التي نبيع كلَّ شيء للحصول عليها. رج مت ١٣: ٤٥-٤٦.

(٨) تنازل الابن في عظمته. كان خفيًّا محجوبًا، فصار جليًّا، ظاهرًا للعيون. ولكن جاء الجدال. هم ما استطاعوا أن يدركوا سرَّ الولادة من مريم، فهل يدركون سرَّ الولادة من الآب؟ ويطلب أفرام أن يكون تلك الكنّارة، تلك القصبة، التي لا تُخرج إلاّ الصوت الذي يريده صاحبُها. فيعود إلى العماد باسم الثالوث، وإلى اسم الابن الذي يختلف عن اسم العبد. الربُّ فتح لنا الطريق كما للطير ولكلِّ إنسان. فلماذا لا نسير فيها؟ لماذا نطلب الموت خارجًا عنها؟

النشيد الثاني والخمسون[1]

معرفة الله

١ من الله ذاته نتعلَّم من الله:
كيف ندرك بأسمائه أنَّه الله.
وأنَّه البارّ، وأنّه الصالح
هكذا اسم الآب يبيِّن أنَّه الوالد
واسم الأبوّة يشهد في ابنه
وإذ هو آب وإذ هو واحد، فهو في حبِّه أبٌ لكثيرين.
التسابيح لطيبته[2]!

٢ هو الربُّ الحقيقيّ. وها عباده قائمون
وهو مَلك مقتنياته
وبما أنَّه الخالق، تقوم الخليقة
ولأنَّه أبو الحقِّ له ابن حقيقيّ
وإن كان اسم الآب مستعارًا، حاشا وكلاّ،
انحلَّت الأسماء المتّحدة به، في الخصومة (التحرّي).
التسابيح للإله الحقّ!

٣ من يستطيع أن يسرِّب عن الآب الحقِّ:
ما استطاع أن يلد

(١) اللحن عينه. كلُّ الأبيات تبدأ بحرف الميم. من الله نتعلَّم. الربُّ (ܡܪܐ) الحقيقيّ، من يقدر... راجع النشيد ٤٩، الحاشية الأولى. وكالعادة في هذه الأناشيد، لا مكان للازمة.

(٢) كذا في A. في B : لطيبتك (مع ضمير المخاطب).

وفي استعارة لبسَ اسم الأبوّة[٣]
وإذ هو الحقُّ فطعمُه محفوظ فيه.
بملحه تفهَ الجهّال
فمن يقدر أن يحلَّ الاسم الذي به يقوم عمادنا وغفراننا.
التسابيحُ لغفرانك!

٤ تكلَّم: عملُ الإنسان هو خارج عنه
وصوته في داخله
تكلَّم: الله يصنع شيئًا ليس منه
كلمته هي ابنه، لا كلمة في صوت
هو الكلمة الذي لا يقدر كلامنا أن يخبر عنه.
التسابيح لخفائك!

٥ كلامك بلبلة، أيُّها الكاتب، ولا فائدة فيه
إن هو الآب اعترف بابنه وما تهرَّب
وإنَّ الابن اعترف بأبيه وما ارتعد
أخرج، امضِ أيُّها الولد، إبكِ:
هما متساويان متآلفان ونحن منقسمون نحن
امتلأت السماء سلامًا والكنائس بالحرب.
التسابيحُ لك يا حاملَ الأمان!

٦ ماذا يخسر الله إذا أنت جادلتَ فيه!
إن هو هتف أنَّه ولَد، وما تناكف
أنَّه ولد وما تمنَّع،
فمن أنت أيّها التعيس لتطالب بمن يطالب الجميعَ
أخرج، امضِ،

(٣) ذاك كلام الأريوسيّين.

طالب بنفسك من عدوِّك الذي قتلك بلسانك
التسابيحُ لقاتله!

٧ رمى الجاهل بنفسه ليُفسد بحرين اثنين[٤].
بحران صافيان ما فسدا منذ الأزل
فسادٌ في الأمواج، نور وصفاء
أوساغ في الفيضان، جمال ونقاء
وإن بصَّ فيهما الإنسان جال وارتمى
صار ميتًا حين تعقَّب.
التسابيحُ لبرارتك!

٨ من لا يزجر البصَّ في الخفايا
ينال ضربة يدعوها الرسول «آكلة»[٥]
فالبحث والخصام (التحرِّي) معين أضرار
للجاهل الهامس
فالألم المفاجئ مجبول فيه
هو حلو في بدايته ومرٌّ في نهايته
التسابيحُ لمن أجازه!

٩ من أقنع بصرك الضعيف
أن يحدِّق في الميزات المحجوبة، العزيزة
فالملائكة لا كفوؤون لأن يتطلَّعوا في بهائها
أراد موسى قليلاً صلفًا أن يتطلَّع إلى هناك
تطلَّع وما بصَّ، فجاء البهاء للقائه

(٤) بلاد أفرام تقع بين البحر المتوسِّط والمحيط الهنديّ. والبحران هنا، هما الآب والابن.

(٥) ٢تم ٢: ١٧: كلامهم يرعى كالآكلة. والمثال البعيد كافران ذكرهما الرسول. نشير إلى أنَّ الاسم يرتبط بحيوان الخلد (ܚܘܠܕܐ) الذي يعمل في الخفاء ويأكل ما يجده تحت الأرض من جذور.

وجعل الباصّين عميانًا.
التسابيحُ لوجاهتك!
١٠ من لا يؤمن أنَّ العهدين الاثنين
بيِّنا في كلٍّ مكان الآبَ والابن والروح
ما دُعوا باسم: مصنوع، مخلوق، مجبول
ولا تآخوا هناك مع أسماء الخلائق
هذا ما أراد الله وكتَّب:
بما أنَّه الله ينبغي أن نؤمن به.
التسابيحُ لسيادته!
١١ من لا يُخضع نفسه لمعلِّميه
فيتعلَّم كما تعلَّموا
وإن هو ظنَّ أنَّه تجاوز قياس معلِّميه.
من في الحكماء مثل محكِّم الجميع!
من في المخلَّصين مثل محرِّر الجميع!
ومن في المجلين يقابل الروح القدس!
التسابيحُ لتعليمك!
١٢ أي برهان اختاره المتحرُّون!
فالحقيقة حبست جميعَ براهينهم
واحد من ثلاثة لدى الوقحين:
هبْ أنَّه كافر! هبْ أنَّه مزيَّف
أو ضعْ أنَّه بليد
بطلتْ قضيَّة الباصِّين وقامت قضيَّة المؤمنين
التسابيحُ لانتصارك!
١٣ فماذا يبقى لجانب المسرِّبين
أقول كما يقولون:

حين يدجِّل إنسان يقدر أن يغلبهم(٦)
أو هو الضعف، فما استطاع أن يلد
فأخفى ضعفه وجعلنا نظنُّ أنَّه الوالد
ولكن إن كفى وَولد،
فإكليل الظفر هو في الحالتين، في جانبنا.

١٤ من يجدِّد أيضًا شيئًا آخر
على الحقيقة التي كُتبت لنا
الأسماء التي أضفناها، كانت، إخوتي،
علَّة الوقحين في كلِّ إضافة بغيضة
أضافت التعقُّبات، أضافت التحرِّيات
فردَّدتَ ما كُتب، وهدَّأتَ ما بلبل.
التسابيحُ لصفائك!

١٥ يا ربَّنا، في أيّامي، ضع في كنائسك الأمان
وامزج ربِّي شقاقات التحرِّيات ووحِّدها
أمِّن وارعَ(٧) الجهات التي تخاصم
فيكون من كلِّ الكنائس، كنيسة الحقِّ الواحدة
ويجتمع أبناؤها الأبرار في حضنها
ويؤدّون الشكر لطيبتك.
التسابيحُ لرعايتك(٨)!

---

(٦) بالدجل والكذب، نستطيع أن نغلب الأقانيم الثلاثة.

(٧) ܪܥܝ. رعى. أو: هدأ. صالح. وفي النهاية: ܠܪܥܘܬܟ: مصالحتك. صالحت البشريّة مع أبيك.

(٨) الربُّ علَّمنا أسماءه. والباحثون يريدون أن يعلِّموه. به تقوم الخليقة ولا تمضي إلى العدم. كلّ ما صنع هو مُلكه. ومع ذلك، سرَّب الأريوسيّون تعليمهم فبيَّنوا أنَّهم تائهون، ملح لا طعم له. الآب أعلن عن ابنه. والابن اعترف بأبيه. جادلْ ما تشاء، يا جاهل، فلن تؤثِّر في الله، بل تقود نفسك إلى الموت. ترمي نفسك، لا في بحر واحد، بل في بحرين. وهكذا تصير «كالآكلة»، كالسرطان الذي يهدم جسم الإنسان. ويذكر أفرام العهدين وفيهما ما فيهما من براهين تلغي براهين الأريوسيّين الذين استندوا مثلاً إلى أم ٨: ٢٢ (الربُّ خلقني، حازني، أوَّل ما خلق). نسبوا إلى الله الضعف. بل نسبوا إليه التدجيل بعد أن أخذ اسمًا ليس له، اسمًا مستعارًا، هو اسم الآب. ويُنهي الشاعر نشيده بطلب الأمان للكنائس لكي تصير واحدة.

النشيد الثالث والخمسون[١]

الحرب في الكنائس[٢]

١ من لا يندهش من البارّ
الذي ما أهمل أن يكتب العلويّات ويرسم التحتيّات
يكتب عن الخلائق ويحبس كلَّ شيء
حتّى قضيب اللوز[٣] وخبر اللفّاح[٤]
جعل امرأتين بريئتين تتكلّمان
كلُّ هذا كُتب بالروح القدس، ووُضع في تابوت العهد[٥].

اللازمة: التسابيحُ لتعليمك!

٢ من لا يخاف! الشكوك على الأرض،
السحق في المسكونة، الجدال في الأسواق
في الجماعات الانشقاقات
وداخل الكنائس السيف والسكّين
سقطت النساء بالنساء والرجالُ برفاقهم

(١) اللحن عينه. هو النشيد الخامس في سلسلة بدأت مع النشيد ٤٩ ولحنُه: قطيع برديصان. جميع مقاطع هذا النشيد تبدأ أيضًا بحرف الميم، آخر حرف في اسم افريم. من لا يندهش، من لا يخاف، من لا يبكي.

(٢) في النشيد السابق، طلب أفرام الأمان في الكنائس، ووحدة المؤمنين، بعد أن استفحلت الحرب وطالت، بعد مجمع نيقية سنة ٣٢٥.

(٣) تك ٣٠: ٣٧. هي قضبان جعلها يعقوب تجاه الغنم.

(٤) تك ٣٠: ١٤-١٦. اللفّاح نبتة قيل إنّها تساعد على الحبل. حملها رأوبين إلى أمّه ليئة، فأخذتها راحيل، امرأة يعقوب الثانية، التي لم تحبل بعدُ بوَلد.

(٥) هو صندوق مغشّى بالذهب. وُضعت فيه أوَّلاً الوصايا. ومن الجزء إلى الكلّ، اعتبر أفرام أنّ فيه أسفار موسى الخمسة، ومنها سفر التكوين.

والكهنة بالملوك. العالمُ كلُّه ضجيج!
٣ من لا يبكي!
كم مرَّة تحرَّكت الأرضُ ثمَّ ثبتت!
والتحرُّكات والخصومات لا تهدأ في الكنائس.
الأمواج والفيضانات صمتت في البحر
والجاهلون والمجادلون يبلبلون اليابسة
طوبى للملاّحين، والويل للكتبة(٦)!
٤ إحسانًا تَحسن حربُنا للإله الحنّان؟
حاشا لها أن تكون.
وإن هو الشيطان هزئ بنا وضحك،
فلماذا لا يُثبتُ الصالح الطريق
حيث يكتب ببساطة ووضوح: الخليقة
ويثنّي ويثلِّث فيكثر الشاهدون!
٥ بما أنَّ الله هو الحقُّ الذي لا يُضلّ،
فهو لا يُضلُّ الإنسانَ، وهو الصلاح، وهو البارّ
بتعليمه صنعنا أنقياء، مرّات عديدة
ورسم بالحقيقات الطريق التي لا ضلال فيها
وقرَّب اللعنة
من الذي يُضلُّ الأعمى في الطريق(٧).
٦ بما أنَّه كتَّب أقوالاً مميَّزة
تشبه الأدوية، تتساوى ولا تتساوى،
على هذا الرجاء يجتمعون كلُّهم

(٦) الملاّحون هم الرسل في السفينة مع يسوع. والكتبة هم الأريوسيّون المجادلون.
(٧) تث ٢٧: ١٨: «ملعون من يُضلُّ أعمى عن الطريق».

ويأتون إلى الشفاء
ومن لا يعرف قوَّتها تقتله
ومن عرف قوّتها انتصر بها.

٧ من برهان هذه الأدوية
نقترب إلى الكتب المقدّسة
هناك الجهّال. يكثرون العقاقير
وهناك الغرباء. يكثرون القراءات
والكلمات تتقاتل في فم الكتبة الجهلة
امتلأت الكتبُ أمانًا، والكَتَبةُ بلبلة.

٨ ماذا يبقى إذًا، سوى هذا:
أن نقوم عند الشهود.
ما من أحد لا يأمر بقبول البارّ
فعلى فم ثلاثة تُحسَم القضيّة(٨)
ندعو الديّان العظيم، العادل
والجانبان الاثنان يدعوان الشهود من أجل قضيّتهما.

٩ وإذا أردت أن تستنير، تتغاضى عن الأقوال
التي تكرز بصغارة ربِّنا وعظمته
واحد يسمع بها ناسوته،
وآخر يسمع لاهوته
نترك التفاسير ونطلب البساطة والوضوح:
اسم الابن واسم الخليقة.

١٠ ويقدرون أن يقولوا لنا مثل كتبة محنَّكين،
وعارفين بالشريعة، وماهرين في الأنبياء:

---

(٨) تث ٢٩: ١٥: «بشهادة شاهدين أو ثلاثة شهود، تثبت الشهادة».

«ها سليمان دخل في التحرِّي:
شعر به ودعاه خليقة واتقانا»[٩]
إذًا سليمان ملجأ عظيم،
ملجأ جميع كاشفي الأسرار!
١١ ليتهم يسمعون من جهالتي كلمات قليلة:
كلُّ هذه الصغارة التي في الكتب،
تتمُّ في ناسوت مخلِّصنا
وإن أنت وجدتَ
أنَّه عبر ناسوته وبلغ إلى لاهوته،
تجد أنَّه أعلى من هذه كلِّها.
١٢ إبلغْ إليه طيرانًا، بأجنحة الوجدان
وأجنحة الفكر.
نقِّ وصفِّ عينَي وجدانك
واصعد وانظر في الابن.
أنظر فيه وانظر في أبيه
فترى كم يُشبه كلُّه والدَه.
فالآب خفيٌّ عن الجميع، والابن محجوب عن الجميع.
١٣ عُدَّ كم من مرّة دُعيَ الابن والمولود
واحسب هكذا كم مرَّة دُعيَ خليقة
وحين تُحسَب الأقوال
تبيِّن الأسماءُ الكثيرةُ للمميِّزين:
الاسمُ الحقيقيُّ في كلِّ وقت يتكرَّر
واسم الكنية مرَّتين أو ثلاثًا إذا كثر.

(٩) أم ٨: ٢٢: الربُّ قناني، خلقني. نذكر التقليد الذي ينسب سفر الأمثال إلى سليمان (١: ١).

١٤ عدَدْنا فوجدنا فقط في مثل واحد[١٠]
أنَّ سليمان دعاه خليقة
فحسبناه وما وفينا:
الآب بكلِّ المدهشات، الأنبياء بكلِّ الأفوه
الرسل بكلِّ الأقوال، والشياطين بكلِّ الضربات[١١]
معًا كرزوا بالابن.
فمن لا يؤمن ويزجر المتحرِّين![١٢]

(١٠) من أمثال سليمان. راجع الحاشية السابقة.

(١١) مر ٣: ١١: يصيحون: أنت إبن الله.

(١٢) انطلق أفرام من الكتاب الذي ما أهمل شيئًا، حتّى قضيب اللوز في يد يعقوب، ونبتة اللقاح في يد راحيل امرأته. وتطلّع إلى الكنائس وما فيها من خلافات، مع أنَّ كلمات الكتاب جاءت بسيطة، واضحة قارحة (ق ر ي ح ا). تنفذ في العين. من قال إنَّ حربنا تفيد الله؟ بل هو الشيطان يدفعنا ويهزأ بنا. الله هو الحقُّ وهو لا يضلّنا. يبقى علينا أن نقرأ الكلمات التي لا تكون على مستوى واحد. وإن ظهر مرّة اسم الخليقة في شأن الإبن، فلماذا ننسى المرّات العديدة التي يقال فيها إنَّه إبن الله، حتّى في فم الشياطين. يشير أفرام، يلمّح إلى النصوص، ولا يوردها إلاّ قليلاً، فيعتبر أنّ الناس يعرفونها.

النشيد الرابع والخمسون[1]

إبن الله صار إنسانًا

١ حين نزل ابنُ الملك السماويّ إلى الأرض،
الشعب اللا عارف، من قولهما عرف:
شهد الآب للابن، والابن دعا الآب
وفي اتِّضاعه أيضًا أُدرك أنَّه الربّ
الموقَّر لدى الجميع.
كان البحرُ[2] مطيَّته والهواء[3] مركبته.

اللازمة: التسابيح لمرسِلك!

٢ من خدمته تعلَّمْ، ابن من هو.
إذْ هو في الاتِّضاع، نزل الملائكة
وخدموا ابن ربِّهم[4] الزاهي
وأمر الخلائق كما يأمر الإماء[5]
وبإشارة دبَّر العالم على مثال العبد
في نمط والده الذي صمتُه يدبِّر الجميع.

٣ بما أنَّه الربّ، عظِّمْ أبناء بيته
شاط الجهَّال أنفسهم، سقطوا وصاروا قذرين

---

(١) اللحن عينه. دائمًا مع حرف الميم: الملك السماويّ، من خدمته، بما هو الربّ، ممّا أخذ، مَن لا يحبُّ بني البشر...

(٢) مت ١٤: ٢٥: ماشيًا على البحر.

(٣) لو ٤: ٣٠: مرَّ من بينهم ومضى. في مجمع الناصرة.

(٤) مت ٤: ١١: وجاءت الملائكة وخدمته. رج مر ١: ١٣.

(٥) مت ٨: ٢٦: انتهر الرياح والبحر.

فنزل أيضًا وانتشلهم من هذه القذارة
ضلَّ الضلالُ حين رأى لطختنا على ثيابه
وحدها المعرفة عرفت
أنَّه اقترب إلى القذارة ليأتي بها إلى النقاوة.
٤ مِن ذاك الذي أخذه، حمله، ندرك أنَّه ابن الملك
فهو كالوارث الصالح اهتمَّ ببيتِ أبيه
رأى العبدَ مرميًّا فأقامه في العافية[٦]،
رأى الأمَّة مرميَّة، وبَّخ فيها الحمّى[٧]
رأى أنَّ الخبز نقص فأشبع أبناء بيته[٨]،
فشكروا مرسله.
٥ مَن لا يحبُّ محبَّ بني البشر
امتزج معهم، اختلط. كانت أمته لعبده[٩]
دعوه فما كره، ومضى إلى الوليمة
أفرحه بعظمته وأهداه هديّة،
الخمر في الأجاجين.
فكنز ملكوته يمشي معه.
٦ من لا يخاف وجسده ينقّي:
حين دخل إلى بيت أبيه، إلى ذلك الهيكل العظيم
بالحبال عاقبهم[١٠].
وإذ قطعوا رجاءهم واستخفُّوا بالهيكل،

(٦) مت ٩: ٢: «خادمي طريح الفراش».
(٧) حماة بطرس. مت ٩: ١٤.
(٨) مت ١٤: ١٣-٢٤. تكثير الأرغفة.
(٩) العريس والعروس. دُعيَ يسوع إلى العرس، يو ٢: ١-١٢، هناك قدَّم لهم الخمر.
(١٠) يو ٢: ١٤-١٧. ضرب البقر والغنم.

وهب لأورشليم كتاب طلاق(١١)
وأخذ الكرمَ من هؤلاء الفلاّحين(١٢).
٧ من لا يخاف، ومن لا يحبُّ
ذاك الذي عظَّم تجّاره الذين ضاعفوا الوزنات وأخذوا(١٣)
وعاقب ذلك العبد الشرِّير والكسلان
الذي بدَّد بني بيته وأفسد زملاءه(١٤)
الملعون الذي ضُرب، ولول بفم الشياطين:
«ما لنا ولك، يا يسوع!»(١٥)
٨ كُتب عن الربِّ الصالح: ندم وتعب(١٦)
لبسَ ضعفَنا.
ومقابل ذلك ألبسنا أسماء عظمته
رأى الجهّال ما لنا فظنّوا أنَّه له
ما هو منّا، غلَّطهم فما أدركوا
أمدَّنا بما يخصُّه، فظننّا أنَّه يخصُّنا.
٩ حين سامعو الحقِّ،
أحاطوه بالحبّ، ما دانوا كلماته.
المرتابون الماكرون كمنوا لأقواله
تحرِّيهم البغيض(١٧) صار مثل متَّهم في المحكمة

(١١) أش ٥٠: ١: كتاب طلاقها. رج إر ٣: ٨.
(١٢) مت ٢٠: ٤١. هم الكرّامون القتلة.
(١٣) مت ٢٥: ١٤-٣٠: مثل الوزنات.
(١٤) مت ٢٤: ٤٨ي؛ لو ١٢: ٤٥-٤٦.
(١٥) مر ١: ٢٤. ذاك ما قال الشيطان الذي طرده يسوع.
(١٦) تك ٦: ٦. ندم الله بسبب الإنسان الخاطئ. كذا في العهد القديم. في العهد الجديد، حيث الإله عينه هو ابن الله، تعب فاستراح عند بئر يعقوب (يو ٤: ٦).
(١٧) كذا في A (**ܣܢܐ**). في B: **ܣܟܠܐ**: أي الجاهل.

متحرّو البارّ نفسه
الذي عمل فأخبرهم ليغلب الرفاق.
١٠ تكلَّم ربّنا، ففرح الصافون
والعاتمون فسدوا. الأبرياء سمعوا وتثبّتوا
والمحتالون سمعوا وجادلوا.
«كيف يستطيع هذا أن يصلب جسده؟»[١٨]
جدالهم أبعدهم عن دواء الحياة
فلا يُبعدنا نحن أيضًا جدالْنا فنخسر ثباتنا.
١١ أقوال الله لا تكون في الكور
ولا هي تُمتَحن
أنظر إلى التلاميذ، وانظر إلى الكفَّار
الأنقياء تثبَّتوا والمتكالبون جادلوا:
«ما هو ابن خمسين سنة»[١٩]
هذا المولود الذي لا يمكن أبدًا أن ندرك امتداده.
١٢ والآن نقول في كلمات قليلة:
التعقُّب كلُّه هو لأهل الشمال[٢٠]
واللصُّ أيضًا الذي صُلب إلى الشمال[٢١]
هو تعقَّب ليعلِّم في سؤاله
حصافة الباصِّين.
فأنت يا قاطع الرجاء، تتعقَّب ربَّك الذي سُمِّر وصُلب.

(١٨) في خطبة خبز الحياة. يو ٦: ٥٢.
(١٩) في جدال مع اليهود: الابن أقدم من إبراهيم. رج يو ٨: ٥٧.
(٢٠) مت ٢٥: ٤١: الذين عن شماله.
(٢١) لو ٢٣: ٣١: وأخذ أحد المجرمين. لا يحدِّد الإنجيل. ولكنَّ أفرام يجعله في جهة الشمال، بعيدًا عن البركة.

١٣ من لا يندهش أيضًا بذاك اللصِّ[٢٢]
الذي صُلب عن اليمين. حين عُلِّق رأى وأبان
أنَّه ابن الله[٢٣]. ونحن الذين آمنّا
أنَّه صعد في المجد وجلس عن اليمين[٢٤]
المصلوب أقنع ذاك اللصَّ
ونحن يقنعنا الكروبيم[٢٥] أنَّهم حملوه[٢٦].

---

(٢٢) لو ٢٣: ٤٠: «أما تخاف الله. هو عن اليمين (مت ٢٥: ٣٣؛ مباركو الآب).

(٢٣) مر ١٥: ٣٩. ذاك ما قال قائد المئة.

(٢٤) مر ١٦: ١٩: جلس عن يمين الله.

(٢٥) هذا ما يجعلنا في صورة قدَّمها حزقيال. فالابن هو «كيريوس» في العهد الجديد، ويقابل «يهوه» (الإله الذي هو) في العهد القديم. والكروبيم يحملونه (حز ١-٢).

(٢٦) لو أنَّ الابن ما صار إنسانًا، لما استطعنا أن نعرفه ولا أن نعرف الآب. الآب شهد للابن. والابن شهد للآب، ثمَّ الملائكة سجدوا للابن، وأطاعته الخلائق. تنازل، حمل خطيئتنا فحسبنا أنَّ الخطيئة هي منه. مع أنَّه أخذها ليقودنا إلى النقاوة. هو يهتمُّ بكلِّ واحد منّا، بالمرضى، بالخطأة. امتزج بنا. أخذ ضعفنا وأعطانا قوَّته. المحبّون له يتقبَّلون كلامه. والذين يكفرون به يتحرّونه، يجادلونه، وفي النهاية يأتون به إلى محكمتهم. جعلوا نفسهم مع أهل الشمال فكانت لهم اللعنة. يا ليتهم وقفوا مع أهل اليمين.

النشيد الخامس والخمسون[(١)]

طبيعة الخالق وطبيعة الخلائق[(٢)]

١ من يقابل، يا ابني، طبائع
لا تشبه في ولادتها، الواحدة بالأخرى
وطبيعة خالق الجميع غريبة عن كلِّ طبيعة
إن عسر علينا أن نخبر عن ولادة النار
مع أنَّها جليّة للعين،
فكم تَخفى عنّا ثمرةُ صانعنا ومولود خالقنا!

اللازمة: التسابيح لخفائك!

٢ من يخبر عن مكوِّن الجميع
ينبغي أن يُخبر أوَّلاً عن كلِّ كيان (= طبيعة)
نترك الكلام عن عظمته، ونقول عن مركبته[(٣)]
نصوِّرها: كيف هي؟ نُفسِّر:
كيف هي عجلات الأحياء؟
وهل هؤلاء الأحياء يتكلَّمون؟

٣ من رأى مركبة صُنع لها
الهواءُ بدل الأرض، والريح بدل الطريق

---

(١) اللحن عينه، مع حرف الميم: من يقابل، من يخبر، من رأى المركبة...

(٢) نستطيع أن نبحث في طبيعة الخلائق، لا في طبيعة الخالق. أمّا الأريوسيّون الذين حسبوا الابن مخلوقاً، فأرادوا البحث فيه. ثمَّ وصلوا إلى أبيه. لهذا جاء تحديد نيقية (٣٢٥) كما في قانون الإيمان: مولود (من الآب) غير مخلوق. انتهى البيت الأخير من النشيد السابق مع حزقيال. وها هو يعود الآن مع المركبة التي تحمل الجلالة الإلهيّة.

(٣) هنا يبدأ الكلام عن مركبة حزقيال. في الفصلين الأوَّل والثاني.

هي تُدبِّر ذاتها ولا تعود إلى نفسها
هناك أربعة رؤوس في الجوانب الأربعة[٤].
وعلى الكرسيّ بحث:
وجهها ينظر إلى مكان واحد، ومحيّاها.
٤ لأنّ ابن يوزي[٥] رأى شبه إنسان،
على الكرسيّ
ولأنّ المركبة لا تدور على نفسها
إذًا هو الكرسيّ الذي تبدَّل
وتطلَّع إلى كلِّ الجهات.
إن اندهشتَ من كرسيه، فمن يُدرك الساهر (= المسيح) الجالس عليه!
٥ تكلَّمْ وبيِّنْ لنا طبيعة العلويّين
وجهَ ميخائيل وصورة جبرائيل[٦]
هما نار وروح[٧]
أين تُرى النار، أين يُساق الروح؟
هل هم طوال وقصار؟ ولونهم كيف هو؟
ومعه جسُّهم إن كانوا يُجسّون.
٦ مَن من العالم وخارجه يكفي ليبصَّ!
ليأتِ وليقُلَ لنا. إن كان لاحدود له
هكذا يمتدُّ بقياساته الواحد الذي يقيس الجميع
ولا يقدر أحد أن يقيسه

---

(٤) حز ١: ٦–١٤: أربعة وجوه، أربعة أجنحة.

(٥) ابن يوزي هو حزقيال (حز ١: ٣).

(٦) ميخائيل: من مثل الله. يظهر أوَّل ما يظهر في سفر دانيال: جاء لنصرة «النبيّ» وهو في المنفى (دا ١٠: ١٣). رج رؤ ١٢: ٧ والقتال بين ميخائيل والتنّين. جبرائيل هو جبروت الله وقدرته. حاضر في دا ٨: ١٦؛ ٩: ٢١. حضر مع زكريّا، والد يوحنّا المعمدان ووبَّخه على قلَّةِ إيمانه (لو ١: ١٩). وبشَّر مريم العذراء (لو ١: ٢٦).

(٧) مز ١٠٤: ٤؛ عب ١: ٧: «جعل من ملائكته رياحًا، ومن خدَّامه لهيب نار».

فحبس كلَّ شيء لئلاّ يحبسه[٨] شيء.
٧ ما هو في الجوهر[٩]، هو كيان
وما رضي أبدًا أن يكوِّن. وهذا لمجده
الجوهر الوحيد ما تكوَّن بيديه، بيدي من هو ربُّ الجميع
وهذا لعظمته
فهذه المشيئة التي لا أرفع منها
وحدها وحيدة رفيعة وهذا إكليل لها.
٨ لأنَّ هذا لا يمكن أن يُقال
وبما أنَّه ينبغي أن يُقال
لا يكون ما يقال الخفيّ الذي لا يكن القول فيه ولا الكلام
أردتُ أن أبصَّ في ما لا يكيَّس
فإن كان البصُّ بعيدًا، فهذا يعني أنَّه ما كوَّن ذاته
فكم يكون بعيدًا عنها البصُّ في جوهره؟
٩ من يقدر أحبّائي، أن يمسَّ أو يجس
شيئًا لاموجودًا.
هكذا يصعب عليك ويعسر أن تبصَّ في من هو الكائن
أنظر كم أنت محدود، يا ابني، في البحث فيه
فما هو لاموجود يشهد لما هو موجود
لهذا لا يمكن إطلاقًا تعقُّبُه أو مسُّه.
١٠ منه وبه نتعلَّم
كما يتيهُنا كلّ ما نحدِّق فيه،
في هذا الكائن الأوَّل.
ساعة ما كان شيء، كان هو موجودًا.
لا برهان: كيف؟ فيتيه آخر أيضًا

(٨) يريد الأريوسيّون أن يحبسوا الله في فكرهم ويحلِّلوه.
(٩) ܐܝܬܘܬܐ. ما به يكون الشخص. ܟܝܢܐ: الكيان، الطبيعة.

كلَّ مرّة يمضي فيه.
وكما وَلدَ من الأزل لا يُدرَك من الأزل.
١١ من يقول عنه،
كيف ينبغي أن تعترف بجوهره
ضرورة لا برهان فيها. أعظم من كلِّ برهان
هكذا تكون الضرورة أيضًا بأن تعظِّم أبوَّته.
فلا تجادل ولا تتعقَّب من هو فوق كلِّ جدال:
حين تبصُّ في أبوَّته، تبصُّ في جوهره[١٠].
١٢ من لا يؤقِّر الاثنين[١١] في الصمت
احتجبا عن الكلّ، وامتزجا معًا
فإن جادلنا جادلنا فهُما معًا، وإن انتصرا انتصرا معًا
هو الصالح في أبوَّته، وهو المخوف في جوهره
كما في اليدين، حيث الواحدة تعين الأخرى:
إكليلُهما واحدٌ هو.
١٣ من بالكلمات الذي تكفي كلماتُه
فيتكلَّم بكل الأفواه في ربِّ كلِّ الأفواه
التي ما تكلَّمت فيه يومًا.
فكلُّ ما يمكن أن يُقال هو يؤاخينا
فكيانُه زميل لنا.
وحدَه ليس عبدًا، لأنَّ أباه هو الربّ[١٢].

(١٠) تتسائل إن كان الله أبًا، وله إبن، فكأنَّك تريد أن تبحث في الجوهر الإلهيّ. وهذا مستحيل.

(١١) أي: جوهر الله وأبوَّته.

(١٢) لا يستطيع الإنسان أن يبحث في جوهر الابن. ولا هو يستطيع أن يبحث في جوهر الآب. فإن هو بحث في الأبوّة، وصل به الكلام إلى الكائن (ܐܝܬܝܐ) الأزليّ. وعاد أفرام إلى مركبة حزقيال التي هي نار وروح. كما إلى طبيعة الملائكة. أتُرى الإبن مخلوقًا. بل هو فوق العوالم والمخلوقات. وإن وجب علينا أن نتكلَّم نعرف ما نقول، وما عنه نسكت. وفي النهاية، ما لاوجود له، يفهمنا كيف نتطلَّع إلى «الموجود»، إلى من هو منذ الأزل. فلولاه لما وُجد شيء.

النشيد السادس والخمسون[١]

الاقتداء بالآباء[٢]

١ من لا يقتدي بهؤلاء الآباء
الذين آمنوا ببساطة!
هم ما بصُّوا، ولا تعقَّبوا.
أجالوا، رموا بعيدًا جدالات البصير[٣]
الذي جعل قلبنا غبيًّا، ثقَّله، أحدره من اللاهوت
فرح اللاهوت بالودعاء الذين آمنوا وانتصروا.

اللازمة: لك التسابيح من الجميع!

٢ من يكفي ويحيط؟ كم صمتَ نوح!
أمسك الجدال داخل قلبه، مئة سنة[٤]
ساعة الجهّال سمُّوه: «أين هو الطوفان؟»
ما سأل ولا تعقَّب أين هي الأمواج
وهكذا وبَّخ الأثمة.
ما انجلى له شيء قبل مئة سنة.

---

(١) اللحن عينه. كلّ المقاطع تبدأ بحرف الميم: من، من... هذه القصيدة هي الثامنة (ح) بعد القصيدة الأولى (٤٩)، وكلُّها على اللحن الواحد.

(٢) ܡܢܘ. جعل الآباء مرآة لنا. فنؤمن إيمانهم ببساطة، لا نسأل ولا نبحث.

(٣) هو إبليس. نقرأ «ܚܣܡܗ». صيَّرنا أغبياء وهو البصير. وكانت النتيجة أنَّه قادنا إلى الخطيئة، في آدم وحوّاء. ما عادا يبصران وصيّة الله.

(٤) كان نوح ابن ٥٠ سنة، حين أظهر الربُّ ندمه، وقرَّر الطوفان (تك ٥: ٣٢). ولكنَّ الله نفَّذ وعيده «في السنة ٦٠٠ من عمر نوح» (تك ٧: ٦، ١١).

٣ من ينظر إلى إبراهيم ولا يبقى صامتًا!
قيَّد حبيبه، ابنَ الوعد
ووضعه على المذبح
ما طالب ولا تعقَّب. ما جادل ولا سأل
أين هو الموعد، وأين هو الوعد!
أمسك لسانَه، واستلَّ سكِّينه(٥).

٤ من لا يندهش! كم صمتَ إبراهيم
ساعة كان المكان واسعًا للكلام وللسؤال
إن صمت هذا الشيخ وما سأل
عن ابنه الذي يموت،
فمن يقطع رجاءه ويتواقح ويتعبَّب
إبن الله الذي به نجا اسحق.

٥ فلئلاّ تضلَّ وتظنَّ أنَّ إبراهيم،
لم يكن كثير الكلام،
تجد أنَّه كان متكلِّمًا، وتدرك أنه كان مجادلاً
ما تناكف بل حصف على أهل سدوم(٦)
من خمسين إلى عشرة أنزل ديّان الجميع
كلامه كان عونًا، وصمته انتصارًا.

٦ تكلَّمَ حيث الكلام يعين، وصمت حيث الصمت يفيد
انتظر بتميزٍ، وتفوَّه(٧) لكي يعين

(٥) تك ٢٢: ١٠. خبر ذبيحة إبراهيم. أهميَّة الصمت أمام سرِّ الله. بعد نوح، إبراهيم. وفي نظر الآباء، ومنهم أفرام، اسحق صورة بعيدة عن المسيح. بالمسيح نال الخلاص.

(٦) تك ١٨: ٢٢: «لا أزيل المدينة إكرامًا للعشرة». ساعة وجب الكلام تكلَّم لكي يساعد سدوم الخاطئة. وساعة الصمت، صمتَ فانتصر.

(٧) ܦܥܐ: تفوَّه. من الفم: فو، فا، في. كذا في AB. في C: ܦܥܣ: وعاد.

ولئلاّ تظنَّ أنَّه كان من الضعفاء
فما طلب لنفسه،
غلب أربعة ملوك ومضى فخلَّصهم[٨]
خطفوا[٩] منه ابن أخيه، فاحتمل حتّى النصر.
٧ مِن هذا الميثاق العتيق نتعلَّم:
سمعه أبناء الحقِّ في الحبِّ، وتميَّزوه
وآمنوا[١٠] بمن وهبه وصدَّقوا كاتبه
كلُّ هذا كان لعونهم.
وأبناء الضلال سمعوا في أذن تتحرّى
وأفواه هازئة فرذلوا لأنَّهم استخفُّوا به.
٨ والآن، يقنعنا الميثاقان[١١]
أنَّ المؤمنين لا يجادلون أبدًا ولا يتعقَّبون،
لأنَّهم آمنوا بالله.
والكتبة والمجادلون يقلقلون ولا يصمتون
امتلأت الكتب أمانًا، وامتلأوا هم غضبًا
جدالهم عتَّقهم[١٢]. سفاهتهم صيَّرتهم كالبقّ[١٣].
٩ من لا يخاف بموسى!
حين تحوَّل قليلاً وارتاب

---

(٨) خلَّص ابن أخيه وأهل المدينة التي أقام فيها لوط. رج تك ١٤: ٩–١٢. إشارة إلى الملوك الأربعة (رمز إلى ممالك الأرض) الذين غلبهم إبراهيم (لا بسلاحه، بل بإيمانه).

(٩) كذا في C: ܚܛܦܘ. صيغة الجمع. في A، صيغة المفرد (ܚܛܦ): خطف.

(١٠) نقرأ مع صيغة الجمع: آمنوا (ܗܝܡܢܘ). ونترك مع صيغة المفرد (ܗܝܡܢ): آمن.

(١١) ܕܝܬܩܐ. هي الكلمة اليونانيّة διαθηκη.

(١٢) صاروا من العهد العتيق. عادوا إلى العالم اليهوديّ.

(١٣) ܐܒܩ. من «ܒܩܩ». صاروا قريبًا من الفناء.

ما وجد الصخر الذي يولِّد المياه[١٤]
فمُنع وما دخل إلى أرض الموعد.
من يقدر أن يدخل إلى بيت الأحياء[١٥]
إن هو لـم يؤمن بابن العظمة الإلهيّة.
١٠ من هؤلاء الأمناء تعلَّم في العافية،
بأنَّه لا يحلُّ لجانب الجهّال ولا يحقُّ لهم
أن يدينوا أعمالهم
وليسوا كفوئين لكور حكمتهم
حين تمتدُّ كلُّ حكمة ضعيفة
فهي لا تكفي لتبلغ إلى ما هو أكبر منها.
١١ من يقدر أن يدين أقوال ديّان الجميع
من يقدر أن يلوم الكلام الذي يلوم الجميع.
بصَّ الأعمى، فآمن بالأدوية
ووثق بالحديد يشفي وجعه
مع أنَّه يقطِّعه
ووثق أيضًا بالكيِّ مع أنَّه يعذِّبه كثيرًا.
١٢ من لا يندهش!
كلُّ إنسان يؤمن بكتاب الأدوية
فيه الطبيب يقرأ ويورده ويعلِّمنا
فنثق بأقواله ونستسلم لأدويته

(١٤) عد ٢٠: ١٠-١٢. ارتاب موسى وضرب الصخرة مرَّتين. فناله العقاب مع هارون.
(١٥) مز ٢٧: ١٣ (ܒܝܬ. ܚܝܐ): أرض الأحياء (في المزمور). ويبقى أنَّ «ܒܝܬ ܚܝܐ» يمكن أن تقابل «ܒܝܬ. ܡܝܬܐ»: بيت الأحياء تجاه بيت الأموات.

ولا نطرح سؤالا.
وكُتبُ الله أما تكفي لتقنعنا أنَّ ابنه مولود منه![١٦]

(١٦) في كلام عن الإيمان والوثوق التامّ بكلام الله، عاد أفرام إلى مثَل نوح الذي ما طرح سؤالاً على الله، حين أمره ببناء السفينة. ثمَّ إلى إبراهيم الذي ذهب يقدِّم ابنه ذبيحة لله. طلب منه فما سأل ولا جادل. مع أنَّه كان له أن يجادل لكي يخلِّص أهل سدوم. صمت ساعة الصمت مفيد. وجادل ساعة الجدال يعين. ولا هو كان ضعيفًا. فقد غلب الملوك الأربعة. فالعهدان القديم والجديد يعلِّماننا كيف نتصرَّف أمام سرِّ الله. صورتان إيجابيَّتان. والصورة الثالثة، سلبيّة. ارتاب موسى وسأل: «أنخرج من هذه الصخرة ماء؟» (عد ٢٠: ١٠). كأنَّه يقول: هل نستطيع أن نخرج؟ أو ربَّما هو متأكد. وينهي أفرام كلامه: نحن نؤمن بأدوية الأطبّاء، كما في الكتب، أفلا نثق بكتب الله؟!

النشيد السابع والخمسون[١]

ذاكرة الإنسان

١ من بصَّ في نفسه، ومسَّت يداه يومًا
كيف حمل مؤونة التعليم
وأين وضعها؟
بالتكرار يُفرغُ الكتب داخل قلبه
يجمع في الذاكرة، يكثر التهجئة
في البطالة يصغر. يا للدهشة في كلِّ هذا.
اللازمة: التسابيح لملكوتك!
٢ من يقدر أن يدخل إلى نفسه،
ويتبيَّن إن كان فيه مكانٌ فارغ للتعليم
ونفسٌ ينقصها تعليم
فإن هي الذاكرة أكثرت إكثارًا
نعجب أنَّها أخذت وما امتلأت، ووهبت وما خسرت.
في القلب كلُّ شيء ولا شيء فيه.
٣ من يقدر أن يتطلَّع في بهاء الذاكرة!
هي صورة[٢] خالقها الذي لا يُدرَك من هو.
تُمسك بلا تعب أسماء الخلائق

(١) اللحن عينه. هو النشيد التاسع (ط) في مجموعة الأناشيد التي بدأت في النشيد ٤٩ (قطيع برديصان).

(٢) تك ١: ٢٦: خلق الله الإنسان على صورته (ܨܠܡܐ).

وإذ لا مكان فيها، لكلِّ شيء فيها مكان
وكما في الأسماء، يرتبط الكلُّ بها
ولا تتعبُ قدرتُها.

٤ من يقدر أن يدخل في الذاكرة
ويجسّ أين هي أسماء الخلائق
لا الذاكرة ولا الخلائق يمسُّها الوجدان
وهي في الكائن[٣] تحلُّ كلُّها
هكذا في الآب الحقِّ يحلُّ الابن الحقّ
ولا الابن ولا الخلائق تُمسُّ حيث هي.

٥ من لا يعرف أنَّ النفس لا تخرج.
وإن خرجت، مات الجسد حين يتركها
والذاكرة تطير في كلِّ الجهات
ولا مكان لها، فتقول: هي هنا.
وإذ هي داخل الجسد. كانت الخليقة أصغر منها.
فهي كلُّها في كلِّ شيء.

٦ من يصُّ في النائم! حين ينام يركض
وإن تاهت النفسُ في الحلم،
لماذا تتيه معها المعرفة مع أنَّها مستيقظة
من نام ورأى؟ من استيقظ وتذكَّر؟
كيف رأى النائم؟ وكيف المستيقظ ضاع؟!
ها هي الدهشة في كلِّ هذه.

٧ كيف النفس التي لا ذهن لها
ترى الحلم فيها ينطلق ويعاكس

(٣) الكائن الأزليّ (اسها).

وإن هي رأت
كيف[٤] ما شعرت أنَّها رأت
وفي أيِّ ذاكرة احتفظت بكلِّ ما رأت
حتّى يستفيق نصفُها
فالذي يتذكَّر كيف يقدر أن يتذكَّر وهو غارق معها[٥]!

٨ من لا يندهش بالشمس التي لا رجلين لها!
طريقها أعلى منها، فكيف تسير فيها؟
لا رجلين لها، ولا جناحين
بل حركة لا تتحرَّك
لا هي من الماشين ولا هي من الطائرين
ولا هي من السابحين. ها الدهشة في كلِّ شيء.

٩ تكلَّمي وفسِّري لنا، يا كلمة المائت[٦]
أين يُقيم كنزُكِ وفي أيِّ جزء
من الوجدان تسكنين؟
أنتِ أصغر من النفس والحدُّ ما اكتمل
أنتِ ابنة ينبوعك، يلد ولا يخسر
فكيف ترفُّ تحرُّكاتك في داخل القلب.

١٠ من كلمتك هذه السفليّة،
تتعلَّم الكلمة المجيدة
وتندهش من كلمة الله
بأن كانت كلمتك

---

(٤) كذا فيBC (امحم). أمّا في A فنقرأ «حمصم»، الذاكرة. هو خطأ من الناسخ، حيث تتكرَّر اللفظة في هذا البيت وفي الذي بعده.

(٥) في النوم.

(٦) الإنسان المائت. هو يسير إلى الذاكرة بكنوزها.

لا تعرف أبدًا أن تخبر عنك
فوقِّر بصمتك كلمة باريك الذي لا يُصَّ في صمته[٧].

(٧) يتوسَّع هذا النشيد في كلام عن الذاكرة (ܥܘܗܕܢܐ). هي تحفظ الكثير مع أنَّ لا مكان فيها. فالذاكرة تشبه الآب، الذي إبنه في حضنه. ثمّ ينتقل أفرام إلى الحكم، فيتساءل أيضًا: أين كانت الذاكرة؟ أمرٌ مدهش. وينتهي كلُّ شيء في نظرة إلى الشمس. كيف تمشي، كيف تطير، كيف تسبح؟ الكلمة الأخيرة: الصمت.

النشيد الثامن والخمسون[١]

أسرار الطبيعة

١ من رأى المياه في حضن الأشجار!
تحوَّلت هناك لكثير الحصص
حين تعود المياه إلى نفسها بأمر الله
لتتجسَّم، تصبح أخشابًا للبنيان
من هذه الأخشاب وبها يكون للسفن جسرٌ
ينتصر لها وبها.

اللازمة: التسابيح لحكمتك[٢]!

٢ من رأى خشبة تنتهي في الدخان!
هي تنحلُّ وتتيه كلُّها في الهواء
وإذا جسَّتها النار أزالتها
لا يمكن أن تُمسَك في يد ماسكيها
بدأت ففرخت. وانتهت في اللهيب.
وحُجبت في المعجزة.

٣ من يقدر أن يصَّ، حيث لا مكان باقٍ،
في عطر العطور، في رائحة الذبائح
في الهبوب ودخان الأخشاب الموقدة
حُفظ داخل شيء، ليأتي أيضًا إلى شيء

(١) هو النشيد العاشر (ي) في اللحن نفسه، مع حرف الميم في كلِّ مقطع من مقاطعه.
(٢) هي في صيغة الجمع: حكماتك. فنقول: تدابير حكمتك.

أو هو ربُّ الجميع
حلَّه إلى لا شيء، لكي يعظم هو في كلِّ شيء.
٤ حين يبصُّ العبد جيِّدًا يجد زملاءه
وإن بصَّ في الخلائق وجد جيرانه
أمّا الربُّ فخفيٌّ عليه.
وكما أنَّ اسم التراب محتقَر بالنسبة إلى اسم الله
هكذا[٣] جداله حقير تجاه صانعه
في الاثنين هو حقير، بالاسم وبالحقيقة.
٥ من لا يقبل هذا ولا يتحرَّى:
كما أنَّ اسم المخلوق والمصنوع
لا يكون له أبدًا أن يصعد فيُقابَل
مع اسم الخالق
هكذا أيضًا تعقُّبه خفيف في الميزان
تجاه الوقور الذي به خُلق الجميع.
٦ من يمتدُّ إلى شيء أكبر منه!
لا ريش لنفسه الضعيفة
ليبلغ إلى علائه العظيم، وهو الضعيف
تنازل إلى زكّا[٤] القصير
حلَّ في عُلى الشجرة
والعالي مشى تحته، بطيبته.
٧ تكلَّمْ بما يفيد، وفسِّرْ من أجل التعليم
ترجمْ ما يساعد، وجادلْ من أجل البنيان

(٣) كذا في B: ܗܟܢ. في A: ܡܟܝܠ: بالأحرى.
(٤) لو ١٩: ٢-٥. خبر زكّا. صعد إلى الشجرة ليرى يسوع.

اسأل الكفّار، ووبِّخ الصالبين
بُصَّ في كتبهم وحُلَّ جدالاتهم
تلمذ الطفولة، وربِّ البساطة
وأنر الفتيان.

٨ تكلَّمْ عن طيبة الله هو يغذّيك مجّانًا.
إكرزْ بعدالته. هو يجازي ويُكثر الجزاء.
باركْ كينونته. كنتَ لاموجودًا فصنعَك
عظِّم أبوَّته. حسبك أيضًا من أبنائه
انتظرْ ملكوته
فها هو يدعوك إلى مائدته ويناديك.

٩ من لا يهب لك
أن تستلَّ عليه كلَّ يوم جدالك(٥) ولسانك
فالكتب وحقيقتها، والبحار وغناها،
والأطعمة ومحبَّتها، والأصوام ورهجتها
تغذَّ(٦)، أيّها التعيس، بهذه العذوبات
ولا تسحق نفسك وتتعلَّم الجدال الذي يعذّبك.

١٠ حين ابن الملك لا يفتح لفلاّحيه
كنز ملكوته،
عندئذٍ يتكوَّن هناك الهمس المضرُّ لدى الوقحين
ولا يريدون أن يعترفوا أيضًا بابن الملك
أعطوه كنية الزميل
والتاج الذي تقبَّل، عظَّمه بطيبته.

---

(٥) ܘܢܚܘ، كما في A. في B: ܢܚܘ: لومك.

(٦) كذا في A: ܐܠܚܢܢܐ. ܚܢܢܐ هو الضرس. في B: ܐܠܡܢܚܐ، مزّق. في C: ܐܠܡܘܢܚܐ: جادل.

١١ ملكنا وابن ملكنا، فتح كنزه
وبذر خيرات الملكوت.
وهب لنا عالمَين: العابر والباقي
ولأنَّ رحمته تجاوزت موهبته،
أخذها الملك وابن الملك ووهبها لنا
وهب حبيبه، وقتله وبه خلَّصنا.

١٢ ما الذي يُرمى أرضًا؟ التعب والعذاب،
الجدال المضرُّ، الهمس الذي يحمل الخسران
ملء التجديف ونهاية المبغضات
الحسد بدل الحبّ، الغيرة بدل الحقّ
الشرِّير رأى الصالح الذي أحسن إلينا مجّانًا
لبس الغيرة ليعرِّضنا للإبادة.

١٣ نقول الآن للشيطان
الذي يبلبلنا لكي نبصَّ في مخلِّصنا:
أخرُج، امضِ، بصَّ في الأبالسة
فتجد زملاءك
وأضفْ فبُصَّ في الأرواح
لكي تعرف جيرانك
بُصَّ في جهنم ونارُه تنتظرك
مُسَّ الظلمة المهيَّأة كلُّها لك(٧).

---

(٧) انطلق أفرام من الطبيعة، فتطلَّع في الخشب (في الشجرة، «**ܩܝܣܐ**» في السريانيّة يعني الاثنين). أيت تذهب المياه؟ كيف يحترق الخشب؛ هي أمور على مستوانا. ولكنَّ الله خفيٌّ علينا، نحن التراب الحقير. وإن تنازل يسوع كما مع زكّا، نتعلَّم أن نتكلَّم ما يفيد السامعين ويؤمِّن بنيانهم (٢كور ١٣: ١٠). لو أنَّ الربّ أبقانا في الغامض، لحقَّ لنا أن نتكلَّم ونجادل. ولكنَّ الله فتح لنا الكتب. فلماذا نبحث عن الجدال والعذاب؟ ولماذا نتبع إبليس ونفتح أمامنا طريق جهنَّم؟

النشيد التاسع والخمسون[١]

المعموديّة والروح القدس[٢]

١ مياه غفراننا، وفيضان مُصالحتنا،
صارا للخصومة،
وفيهما الجانبان يتخاصمان ويتجادلان
الشعب[٣] خاصمَ في البرّيّة، وفي الكنيسة الشعوبُ
تحرّوا حول المياه[٤] في بحر سوف[٥]، يا إخوتي،
وها أبناء الحقِّ[٦] يتحرَّون الآن.

اللازمة: التسابيح لغفرانك!

٢ من هو الذي لا يخاصم؟ ومن هو الذي لا يسأل رفيقه؟
من عمَّدك. وأين أخذت معموديَّتك؟
من هو الذي لا ينبِّه
بأن لا تعمِّدك يدُ الكاهن المنشقّ
وهكذا صارت مياه الخصومة
لجانبَي الخصومة.

---

(١) هو الحادي عشر في سلسلة أناشيد، بدأت في نشيد ٤٩، وتبعت اللحن عينه. وبدأ كلُّ مقطع بحرف الميم.

(٢) يقدَّم الكلام هنا في إطار الجدال مع الأريوسيّين.

(٣) هو الشعب اليهوديّ تجاه الشعوب الآتية من الأمم.

(٤) خر ١٥: ٢٢؛ عد ٣٠: ١٠. خاصموا موسى.

(٥) أو بحر القصب (أش ٤٩: ٢١). بعد أن عبروا البحر وصاروا في البرّيّة (تث ١: ١).

(٦) حول مياه المعموديّة. الأريوسيّون هم أيضًا أبناء الحقّ.

٣ من هو الروح القدس؟ هل قبلَ جسدًا؟
في مكان ما، ما أدخل الأنبياء ضعفَه،
والرسل حاجته
ما كرزوا به يومًا على أنَّه الأمة والعبد،
والخليقة والمتقَن، كما كرزوا بالابن
فهو أعلى من الجسد، وأعلى من كلِّ شيء.
٤ من الروح به ندرس:
إن كانت كيانات الآب والإبن والروح
وجب أن نكتب عنها
جليٌّ بالنسبة إلى صانع الكون: إذ هو لامصنوع، صنعَ
وكما قالوا كتَّب عن الابن الذي هو مخلوق
من لا يجلو لنا عن الثالوث: كيف كيانه هو؟
٥ من لا يعرف أنَّه صفَّ، حسبها،
ورتَّب الأسماء الثلاثة
أسماء الآب والابن والروح
فينبغي، كما حسب أسمائهم، أن يجلو طبائعهم.
فإن كتُب يُقرأون، وإن لم يُكتب
يعترفون بطبيعتهم التي هي خفيّة.
٦ بما أنَّه ما جلا لنا حول الثلاثة،
بيَّن، فسَّر أنّه لا ينبغي أن نبصَّ
في كيانات الآب والابن والروح
أمّا الاهتمام بالصالح:
كيف؟ بكلِّ الوسائل.
كيف بكلِّ العلل يحيا بنو البشر.

٧ إذًا، لا تتحرَّ.
إقبل كلَّ ما كُتب وما قيل
أراد أن يهب ملء الأسماء والتكنِّيات
لكي نكون أهلاً لحياته
لا للتعقُّب، لا للتحرِّي،
لنبصُّ في كيانهم
بل لنفهم حبَّهم كم هو عظيم!
٨ بما أنَّ الروح القدس ما اقتبل جسدًا
فهو أرفع من الأقوال وممّا تلده الأقوال،
تلك التي قيلت عن لاهوت ربِّنا وناسوته
أمّا الكتبة فتحرُّوا هذه الأقوال
بلبلوها، رموها في آذان الناس.
٩ بما أنَّهم ما عرفوا ما تريد هذه الكلمات
قرأها الواحد بعد الآخر، بحسب ما أراد، تحرّاها،
في المحاكمة لبسها، جعلها جدالاً،
سلاحًا للقتال وحاجزًا للتحرِّي
وها كلمات الأمان تخاصمت
في مجادلين ما لاحظوا الأمان الذي فيها
١٠ كلمة الأمان التي بها جعل ربُّنا الأمان لدى الجميع،
صنعْنا بها حربًا، صُغْنا بها قتالاً
بها أبغضنا الحبّ، بها أحببنا الحسد
بها دفعنا عنَّا الأمان، وطاردنا بها السلام
نفسَنا قتلنا بها، بها حارب الواحد الاخر
وبها أبغض الواحدُ الآخر.

١١ معين الصفاء الذي جرى من الصافي،
الذي ما فسد يومًا، بلبله المجادلون
والقطيع العائش في أمان شرب مياهًا فاسدة،
وفسُد هو أيضًا
ودخل الوحل فأفسد الصفاء
وتبدَّل القطيع مع الرعاة.
١٢ بما أنَّ سمان القطيع سمنت وبعطت
وشهد ابن بوزي(٧)
أنَّهم ضربوا الضعيفة، وسحقوا المريضة
وأبادوا المجتمعة.
وبما أنَّ هذا الخبر(٨) جاء على فم كثيرين
بدأ به النبيُّ وهو نفسه كمَّله(٩).

(٧) هو حزقيال. هكذا اعتاد أن يدعوه أفرام.

(٨) حز ٣٤: ٤ي. خبر الرعاة الأردياء.

(٩) هي الخصومة في الكنيسة بين فئتين: من عمَّدك؟ كاهن من عندنا، أم من عندهم؟ كاهن منّا أم كاهن منشقّ؟ ثمَّ حول الروح القدس إن كان قبل جسدًا أم لا. جاء بشبه حمامة. هل هو طير حمام. جاء في ألسنة من نار. هل هو حقًّا لسان من نار. هي القراءة الحرفيّة للنصوص. واجهت الابن فكان جواب الكنيسة في مجمع نيقية. وهي تواجه الروح القدس. وسوف ننتظر سنة ٣٨١ ومجمع القسطنطينيّة الأوَّل للكلام عن الأقنوم الثالث في الثالوث الأقدس. أعطيَتْ لنا الكتب المقدَّسة ليكون الأمان في ما بيننا، فإذا هي صورة للخصومة والبغض والجدال. أعطيت لنا ينبوع مياه صافية، ففسد الماء ومعه القطيع والرعاة.

النشيد الستون[١]

مَن في الوقحين[٢]

١ مَن في الوقحين يريد أن يصوم؟
لماذا رضيَ أن يكتبَ لنا هكذا، وهو ما وَلدَ؟
فإن هو أراد هكذا، وافوا إرادته
لأنّه هكذا أراد أن يقول
وإن وَلَدَ في الحقيقة، قاموا يعارضون حقيقته
في الحالتين، الهزيمةُ لجانب الوقحين[٣].

اللازمة: التسابيحُ لملكوتك!

٢ من أكره آبَ الحقّ هذا
أن يُسمّي الآب والابن، وهو ما ولدَ ولدًا؟
هل أراد أن يُضلّنا؟ هل أراد أن يُحسن إلينا؟
هل أراد أن يفتري على نفسه؟
وإن كان الأمر هكذا، لا سمح الله أن تكون
لا تليق هذه الأمور بالإله الحقيقيّ.

٣ منه وبه نُثبت:
إن حسن له وهو لم يلد،

(١) اللحن عينه. القصيدة الثانية عشرة. يبدأ كلُّ مقطع فيها بحرف الميم.

(٢) الوقحون هم الأريوسيّون بعد أن اشتدَّت الخصومة وانقسمت الكنيسة كما قرأنا في القصيدة السابقة.

(٣) شدَّد الأريوسيّون على وحدانيّة الله. إذًا، لا إبن له. وهو ما ولدَ ولدًا. حكموا على الله لأنّه كتب عن الولادة وهو ما ولد، ثمَّ حكموا على الحقيقة التي تعلنها الكتب المقدَّسة.

أن يفتري على نفسه ويقول إنَّه الوالد،
فهذا الفكر المخبَّأ، الخفيّ على كلٍّ كيان
من هو أقسى منه؟
كشف سرَّه، جلاه فردَّده الصبيان في الساحات.

٤ تكلَّمْ أيضًا لأجل جانب الوقحين:
«ما افترى على نفسه. بل نحن قُلنا إنَّه والد».
فلماذا تتعدَّ العوالم بأنَّه ولد ابنًا
وهذا غير صحيح.
إذ هو زميلنا، وثقنا أنَّه ابنه
وجعلنا نصدِّق أنَّ الآب المستعار هو الابن الحقيقيّ.

٥ بما أنَّ الوقحين كرزوا: ما هو والد،
فهذا نراه لدى الأنبياء ولدى الرسل
فإن وجد الوقحون أنَّهم على حقّ،
فالأنبياء ضلّوا
وإن كان رسل الحقيقيّ على حقّ
نحتقر الوقحين الذين ضلّوا وأضلُّوا.

٦ من منع هذا؟
ساعة الوقحون يكرزون بكلِّ الأفواه،
وهم لا يتوافقون
هل يكرز لنا بفمٍ أهلُ الحقِّ
فيهم لهج الروح وجاءت كتبهم سواء
وتوافقوا في أقوالهم
ولكن صمت أهل الحقِّ وبعبع الوقحون.

٧ من لا يرفع التسبيح!

أرضت ليئة وراحيل[٤] الله،
فنالتا اسمين تسمَّتا بهما
هو أقامنا على البنين ووثق بنا
حين قلنا إن ولدَنا هو ولدٌ من حضننا
لا نظلم حبَّه. ولنعلن كلُّنا حول ابنه
أنَّه ابن حضنه وثمرة خفائه.

٨ الربُّ الذي يعرف كلَّ شيء
سأل إبليس عن اسمه[٥]. كيف هو؟
ما اعتبر دجلاً أسرَ إبليس السائب، الدنس
والأبالسة أيضًا ما اعتبروا اسمه دجلاً
خجل الكتبة الذين دعوا مخلِّصنا خليقة
ردَّ عليهم إبليس: «إبن الله هو»[٦].

٩ من ذاته وفي ذاته تعلَّم لجيون
كيف أنَّ اسم لجيون وافق تفسيره
هكذا زعق حين شعر أنَّه ابن الله
وافق اسمه اسم أبيه.
فإن كان الاسم الدنس، اسم الشرِّير عدوِّنا
وافق شرَّه، فكم يكون اسم إلهنا!

١٠ من يقابل أسماء القدّوس
الذي هو موافق لذاته في كلِّ شيء
يقابل كينونته بالكائن، وبالعادل عدالته
بالطيبة طيبته. في هذه يتمُّ التوافق

(٤) هما امرأتا يعقوب. رج تك ٢٩: ٣٢-٣٠: ٢٤.
(٥) مر ٥: ٩. ما اسمك؟ اسمي لجيون. هو اسم حقيقيّ، لا دجل فيه ولا كذب.
(٦) لو ٥: ٣٥: «أنت قدّوس الله».

فكيف تنقسم أبوّته ولا توافق ذاته،
إن لم يكن له من حشاه، ولدٌ مجيد.

١١ من لا يفرح،
إن كانت هذه التكنّيات موافقة لذاتها:
آدم للأديم[٧]. وحوّاء للحياة[٨]
وفالج للفلج والانقسام[٩]، وبابل للبلبلة[١٠]
وصلنا إلى البلبلة. فلنُسكت الاضطراب
ونقبلْ في الترتيب، الأسماء الثلاثة.

١٢ من بابل تعلَّم:
هناك أيضًا نزل ثلاثة، بلبلوا.
قالوا: تعالوا[١١] ننزل
فهذا لا يقدر إنسان وحده أن يقوله...
أن يقول الواحد: تعالَ ننزل
بهذه الألسنة التي تبلبلت بلبل الشرِّير في يومنا
الكنيسةَ بدل بابل.

١٣ من لا يدهش أن يكون الآن مكان
للضلال بأن يتقوّى بسبب مرضنا
ها ضعفنا مريض جدًّا.
فما تعود إلينا قوّةُ وفاقنا

---

(٧) تك ٢: ٧. ترابًا من أديم الأرض.

(٨) تك ٣: ٢٠. هكذا سمّى آدم حوّاء: أمّ الأحياء.

(٩) تك ١٠: ٢٥. في أيّامه انقسمت الأرض. ܦܠܓ.

(١٠) تك ١١: ٩. هناك بلبل الله الألسنة. هي صورة عن بابل بتنوُّع سكّانها قبل أن تسقط في يد الفرس.

(١١) كذ في B (ܢܚܘܬ). في A: ܢܚܬܘ (الماضي، مع ضمير الجمع): انزلوا. رج تك ١١: ٩. الثلاثة هم الأقانيم الثلاثة.

وحبٌّ توافقنا. فمن يعاصينا؟
ففي الأرض والسماء حلَّ حقُّنا[١٢] وربط[١٣].

(١٢) مت ١٦: ١٩. كلام يسوع بعد اعتراف قيصريّة.

(١٣) اعتبر الأريوسيّون، الوقحون، أنَّ اسم الآب اسم مستعار، هو لاحقيقيٌّ، وهذا يعني أنَّ الله «كذب» على نفسه (لا سمح الله) وسمَّى ذاته اسمًا ليس له. ويعود أفرام إلى الأنبياء والرسل دون أن يورد كلامهم. ودور الروح الذي ألهمهم. وأعطى مثلين. ليئة وراحيل. ثمَّ إبليس باسمه لجيون. فالاسم يوافق الشخص والحقيقة: آدم والأديم. حواء وعطيّة الحياة. أخذ أفرام هذه التسميات من الكتاب المقدَّس، وما ناقشها. فهي توافق كلامه. وأنهى كلامه: إن كان الاسم يعني الشخص، فلماذا اسم الآب لا يدلُّ على شخص الآب، الذي أعطانا «ابنَ حضنه وثمرة خفائه». والنتيجة: اليوم انتقلت البلبلة من بابل إلى الكنيسة.

النشيد الحادي والستون[١]

الأسماء في الله[٢]

١ من لا يخاف نصيحة ربِّنا:
رحى لعنق من يشكِّك أحدًا من أبناء النور[٣]
فالذين يبلبلون البسطاء بتساؤلاتهم،
بصُّهم هو رحى لهم.
يغرقون في التعقُّب ولا يخرجون منه
لأنَّهم لا يصمتون عن الهمس البغيض.
اللازمة: التسابيحُ لمجيئك!
٢ الكلمة الطويلة الروح تعلِّمنا
حول الآب والابن. امتزجا الواحد بالآخر.
أو تُحدر أباه
معه لكي يتآخى مع الخلائق،
أو تُصعد الابن معه ليكون غريبًا عن الخلائق
ولكنَّ الإبن يشبه أباه.
٣ كلمةٌ قوَّتُها فيها ولا تريد أن تصمت
ولا تريد أن تظلم
فإن تآخى اسم الابن مع اسم البرايا

(١) القصيدة ١٣ في اللحن عينه، وحرف الميم يبدأ كلَّ مقطع: من لا يخاف...

(٢) تحدَّثنا أكثر من مرَّة عن الأسماء الثلاثة، وعن رباط الاسم بالشخص، بالأقنوم. وها هو أفرام ينطلق من الأسماء لكي يبرهن عن العقيدة، أترى الأسماء لا مدلول لها؟

(٣) مت ١٨: ٦. من يشكِّك واحد من هؤلاء الصغار؛ ثمّ أش ٥: ٥: أبناء النور، أبناء النهار.

فاسم البرايا تآخى مع اسم الباري
وإن كان اسم البرايا غريبًا عن الباري
يكون هكذا غريبًا عن ابن الباري.

٤ قد يحصل شيء لطبيعة الوالد
وهو يمكن أن يحصل لمولود الوالد
الشعاعُ منيرٌ لأنَّ والده منير
ولا يمكن أن ينقطع لأنَّه يشبه جذره
ولا يمكن أن يُحبَس لأنَّه ارتبط بكنيته
هو يشبهه في كلِّ شيء.

٦ من لا يندهش أمام الجذرين الاثنين
أبادا كيانيهما، وبدَّلا اسميهما
إثناهما محجوبان عن ثمارهما
جذر الحرِّيّة، ثمر العبوديّة
وشجرة العبوديّة أنبتت من هو العظيم
إذ اختفت أزهرت(٤).

٧ من الشيء نفسه يأتي سلاحه.
فإن حُسب ابنُ الحقِّ وكأنَّه لامولود
فالعبد لا يُحصى بين الخلائق.
واحد من اثنين:
أو قام الجانبان كلٌّ واحد في إتقانه
أو دخلا في التبدُّل.
أو حُلَّ إسماهما أو تاه كياناهما.

(٤) هو كلام عن الخالق والخليقة. صارت للشجرة ثمرة، والابن هو ثمرة الآب.

٨ من لا يسأل إذا كان اسم الابن
نتعقّبه كما الخليقة
حينئذٍ اسم الخليقة نسأله عنه كما الآب
منذ الآن لا يقدر الاسم أن يكون موافقًا له.
ترك حقيقته وهرب إلى المولود
بعد أن تعلّق اسم الابن باسم الخلائق.
٩ منذ الآن، صارت الخليقة وكأنّها ليست خليقة
وكذلك المولود، صار منذ الآن وكأنّه ليس الابن
كثرت البلبلة
فإن كان ابن الحقِّ ترك اسمه، أباده،
وهذا لا سمح الله أن يكون،
من يقدر بعدل أن يقرأ أسماء تتجاوز اللياقة.
١٠ لماذ قبل موسى الاسمَ الإلهيّ
والبهاء السماويّ،
وما تواقح وقال: أنا الله؟
ما أضلَّ الشعب، ساعة أبناء الشعب
تعطّشوا في كلِّ الأسباب للضلال في كلِّ شيء
فها عجلُهم(٥) يصرخ، وكتابهم يشهد.
١١ لماذا الرسول الطوباويّ ورفيقه،
ساعة شرع الناس يذبحون لهما الذبائح
ويضعون لهما البخور
ودعوهما آلهة حين رأوا المدهشات،
لماذا مزّقا قلبهما الخفيّ وكشفا لباسهما

(٥) خر ٣٢: ٤ي: العجل الذهبيّ. وسفر الخروج والعدوّ يبيّنان كم مرّة ضلَّ الشعب في البرّيّة، كما رفضوا في وقت من الأوقات، التوجُّه إلى أرض الموعد.

وقبلا أن يُرجما ولا يسجد لهما أحد[٦]؟
١٢ لماذا قال يوحنّا حين سُئل:
«أنا لستُ المسيح الذي تطلبون»[٧]
حين شعر العبد أنّ ربَّه هو زميله،
ما كذب النذير ولا عاد ودجَّل
ختم كلامه فقال: «هو إبن الله».
وها في المسكونة تلعلع كلمة الكاروز[٨].
١٣ لماذا جبرائيل ما مكر بدانيال
وقال: إنَّه الله؟
والسرافيم[٩] ما مكروا بأشعيا وقالوا له:
أنت ابن الله
الملائكة ما دجَّلوا. الأنبياء ما كذبوا
الرسل ما بلبلوا،
ومن هو أعظم من الكلِّ، أيُدجِّل في كلِّ شيء!
١٤ منّيَ اسمعْ.
لو لم يكن هناك حقيقة لانتقصت وبقيت.
الحقيقة وحدها تكفي لتكثر في المشرق
وتنتشر في المغرب. لتقبض على الشمال وتحبس الجنوب

(٦) أع ١٤: ١١-٢٠. هو بولس الرسول ورفيقه برنابا، في لسترة. أقاما مُقعدًا فجاء أهلُ المدينة بعجل يذبحونه إكرامًا لهذين «الإلهين».
(٧) يو ١: ٢١. في الواقع، قال يوحنّا المعمدان: حمل الله. وما قال: إبن الله.
(٨) من كرز: بشَّر، حمل الخبر الطيِّب وخصوصًا للجديدين في الإيمان.
(٩) أش ٦: ٦. الرؤية في الهيكل. أشعيا هو الخاطئ.

في العمق نزلت وانتصرت، وفي العلاء صعدت وأقامت
وملكت في كلِّ شيء على كلِّ شيء[١٠].

(١٠) بدأ أفرام فنبّه الأريوسيّين من الشكوك في الكنيسة. كيف نجعل الابن مع الخلائق، بحيث يصبح الآب خليقة بين الخلائق. فالاتّحاد واضح بين الاثنين، مع فعل «مزج». امتزج الواحد بالآخر، فكيف نفصل بينهما. وما نقوله عن الابن نقوله عن الآب أيضًا. كيف لا نتعلّم من موسى الذي شعّ وجهه، ومن الرسولين الذين اعتبرا آلهة، ومن يوحنّا المعمدان، ومن جبرائيل في كلامه مع دانيال. هؤلاء ما كذبوا ولا دجّلوا. ما رفعوا نفوسهم إلى مستوى الله، فلماذا نحدر الله إلى مستوى الإنسان؟

النشيد الثاني والستون[١]

من البداية[٢]

١ من البدء تملَّقنا زميلُنا[٣]، كدنَنا،
كي نخدم زملاءنا
ابنه[٤] حرَّرنا من كلِّ شيء
ربُّنا زميلنا هو، ونجّانا من العبوديّة
تركنا[٥] موجوداتنا، حصَّتُنا هي الخليقة[٦]
ولكنَّ للآب السجود، بالابن الذي له السجود، قرَّبنا سجداتنا.

اللازمة: التسابيحُ لتنبيهك!

٢ من لم يعرف
أنَّ آدم دعا بأسماء الحيوانات نفسها[٧]
فحسنت لربِّ الكلِّ الأسماءُ التي وضعها العبدُ
كُتبت وكانت موضع إيمان

(١) اللحن عينه. هي القصيدة الرابعة عشرة. مع حرف الميم في بداية كلِّ مقطع: من البدء. ثم من لا يعرف...

(٢) كان العنوان الكلمة الأولى في القصيدة. وهنا، ما زلنا نتوقَّف عند الأسماء. هل هي حقيقيّة أم استعارات؟ نتذكَّر، في الأدب الساميّ، أنَّ الاسم يتماهى مع الشخص. حين نقول اسم الله، فكأنّنا نقول الله.

(٣) هو إبليس (ܦܠܚ). جعلنا تحت نيره منذ البداية، فتركنا نير المسيح. (ܦܠܚ): فلح، خدم.

(٤) إبن الله، صار زميلنا بالتجسُّد.

(٥) كذا في B: ܫܒܩܢ. في A: ܫܒܩ (صيغة المفرد): ترك.

(٦) هو يسوع المسيح كما ما يقول الأريوسيّون.

(٧) تك ٢: ١٩ي. مرَّت أمامه.

ولكن بني آدم ما نكفوا عن جدالاتهم
فحاربوا اسم الابن الذي كرز به فمُ الله[٨] في آذانهم.

٣ مُثِّل ربُّنا بالطريق[٩]، هو يقودنا إلى أبيه
ومُثِّل بالباب[١٠] أيضًا هو يُدخلنا إلى ملكوته
ومثَّلوه أيضًا بالحمل[١١] الذي ذُبح لغفراننا
وكما كُني فوافق خلاصاته[١٢]
كذلك تساوى وتوافقَ اسمه مع اسم والده
إن هو الابن فهو المولود أيضًا.

٤ فمن الاسم وبالاسم، يمكن أن نذوق طعم قدرته
هناك اسم يقدر أن يفسِّر نفسه لنا:
الصنيعة تقود إلى صانعها، والخليقة إلى خالقها،
والجبلة إلى جابلها، والمولود إلى الوالد
هي تكرز ولا تتحرّى.
السلاح هو الذي لا يُقهر أبدًا في الجدال[١٣].

٥ من هذه البلبلة نفهم أنّها الفوضى
كلُّ اسم صفا، ووافق جذره
الصنعة للصانع، الخليقة للخالق،
والمولود للوالد

(٨) حين العماد على نهر الأردنّ (مت ٣: ٢٧) والتجلّي على الجبل (مت ١٧: ٥).
(٩) ܡܬܡܬܠ: جُعل في مثل. يو ١٤: ٦: أنا هو الطريق والحقُّ والحياة.
(١٠) يو ١٠: ٩. أنا باب الخراف.
(١١) هكذا دعاه يوحنّا المعمدان: حمل الله الذي يرفع خطيئة العالم (يو ١: ٢٩).
(١٢) ܦܘܪܩܢܘܗܝ: أكثر من خلاص قام به من أجلنا. كذا في B. في A: ܦܘܩܕܢܘܗܝ: وصاياه، أوامره.
(١٣) ܕܪܫܗ: الجدال فيه. كما في A. في B: ܫܪܪܗ: حقيقته.

هل اسم الكلِّ قائم واسم الابن أبيد؟
هو ما أباد الذين بادوا، فوُجدوا به وعادوا.
٦ من الخليقة وبها وعليها، وكما هي،
الخليقة هي خليقة، ولا نتحرّى الاسم والحقيقة
وما تطلبه اللياقة
أن يكون الابن إبنًا هو أيضًا بالاسم والحقيقة
وإن كان اسمه دجلاً،
فأسماء كلِّ شيء دجلٌ في كلِّ شيء.
٧ حين يُدعى مولودٌ ولا يُوجَد والده،
هي أسماء مستعارة، اسم المولود ووالده
والآب هو أيضًا باسمه، مقسوم مع نفسه(١٤)
وهكذا الابن: هو مولوده
الثمرة والشجرة لا تنقسمان
لأنَّ طعم الحقيقة يكرز بإسميهما.
٨ من يقدر أن يطعِّم العبد باسم المولود،
والخليقة باسم الابن!
نستطيع أن ندرك طعم الثمرة منها وفيها
وإن هي حلوة وطعمها مرٌّ
انقلبت، في السماع أسماء كلِّ شيء
ولكن من يقدر أن يقلب أسماء ربِّ الكلِّ.
٩ لأنَّ البشر تكنَّوا(١٥) بنعمة منه،
ما أبادوا طباعهم بالكنية
فالناس لبسوا أسماء حقيقيّة

---

(١٤) قرأنا B (ܢܦܫܗ). وتركنا A: ܫܡܗ: اسمه.
(١٥) تكنوا آلهة. رج ٦٣: ٨.

واسمُهم كورٌ لهم يمتحنهم.
فإن كان الابن عبدًا، وُجد زميلَنا
وإن كان الابن هو الربّ، فهو في الحقيقة إلهنا.

١٠ من لا يندهش!
إن كان ابن الآب عبدًا
يكون حضنُ والده زميلاً لكلِّ صنعة
ووُجد موقَّرًا بالولادة من مريم
صَنعه الناسوتُ أخًا حقيقيًّا
أفضل من الحشا الذي جعله زميلاً عاديًّا
للزحّاف والبعير[١٦].

١١ من يقدر أن يحسب أسماء الحقِّ دجلاً!
حقيقته سمعت باسمه.
وإن وُجد اسمُ الآب والمولود غير صحيح،
صار أيضًا اسم الخلائق دجلاً
وإن وُجد صحيحًا، كلُّ اسم صار ذا طعم وعافية
وهل اسم الابن يكون تافهًا؟
بل نحن صرنا تافهين، فجعلناه تافهًا

١٢ من يحسب الأسماء الحقيقيّة تافهة،
أسماء الآب والابن والروح؟
بها تقتني طعمًا الكُتب[١٧] التي لا طعم لها

(١٦) ردٌّ قاسٍ من أفرام. هل صار حشا الآب مثل حشا «حيوان»؟ تلك هي نتيجة من يقول إنَّ الابن هو خليقةٌ من الخلائق. هو أخ لنا حين وُلد من مريم. ولكنَّه ليس زميل الخلائق حين وُلد من الآب.

(١٧) إذا قرأنا «ܣܦܪܐ» مع الكسرة تحت السين، نعني «الأسفار، الكتب» وإن جعلنا الضمّة فوق السين نعني: الكتبة الذين لا طعم لكلامهم.

كلٌّ ما يمكن أن يكون تافهًا تعود عزَّته بالمزج
مزج بالآب والابن والروح الذين هم وحدهم حقيقيّون
ما كانت عزَّتهم متآخية مع المزيج[١٨].

١٣ من يمكن أن يعتمد بأسماء مستعارة[١٩]؟
من يمكن أن يعترف بأسماء مستعارة؟
نحن مقسومون نحن
في الحقيقة التي لا يمكن أن تمزِّق قوَّتها
هو الآب الذي لا ينقطع حبُّه عن حبِّ مولوده
فمن يقدر أن يمزِّق الأسماء المتوافقة.

١٤ من هو الذي لا يهزأ![٢٠]
إن كان الباري أعظم من ذاته
يكون قد عظَّم برایاه حيث توافقت أسماؤهم
واسم الآب وحده تعارض!
كلٌّ إنسان يلبس أسماءه
والآب وحده والابن «يشلحان» إسميهما
في كلِّ شيء، أسماء كلِّ شيء صارت دجَلاً.

١٥ من يعطي للوقح الاثنين؟
أن يمضي في طريقه كما يشاء:

(١٨) حينئذٍ تكون الوحدة فيهم بدون شكل ولا طعم.

(١٩) الكاهن يعمِّدنا باسم الثالوث، باسم الآب والابن والروح القدس. هل هي أسماء حقيقيّة، تدلُّ على أشخاص حقيقيّين، هم الأقانيم الثلاثة؟ أم هي أسماء مستعارة. جاءت عن طريقة الرمز والاستعارة. ونحن حين نعترف بالثالوث ونعلن إيماننا بالآب والابن والروح القدس، هل نعترف بشبه أسماء، بشبه أشخاص؟ هذا يعني نكرانًا للثالوث الأقدس، بعد نكران بنوَّة الابن وجعْل الروح خليقة من الخلائق.

(٢٠) برهان أفرام ينطلق من الأقل ليصل إلى الأكثر: هل أسماء الأشياء مستعارة أم حقيقيّة؟ ويأتي الجواب: هي حقيقيّة! فإذا كانت حقيقيّة هل تكون فقط أسماء الثالوث مستعارة؟ كلُّ فاهم يهزأ من مثل هذه الأقوال.

يسمع أسماء الخلائق ويتأكَّد،
ويعود يرمي اسمَي المولود ووالده
أسرَ تحرِّيه معه، كما شاء،
وحين يعود تحبسه الحقيقة[٢١].

(٢١) من نتبع؟ إبليس زميلنا الذي يستعبدنا للضلال، أم الابن الذي يحرِّرنا. في الأصل، أعطى آدمُ الخلائقَ أسماء. وماذا عن اسم الآب والابن؟ يسوع هو الطريق والباب والحمل... فلماذا لا يكون الابنَ. فكما للخلائق اسم حقيقيّ يرضى به الخالق، كذلك هناك علاقة بين اسمَي الآب والابن. إذا كان الإسم لا ينفصل عن المسمَّى، فلماذا نفصل اسم الآب واسم الابن. هو آب حقًّا. هو إبنٌ حقًّا ومولود. وعاد أفرام إلى المعموديّة وما فيها من اعتراف إيمانيّ باسم الثالوث. إذا كانت الأسماء التي نعترف بها مستعارة، فما معنى ما نقوم به حين ندخل في الكنيسة؟!

النشيد الثالث والستون[١]

بالابن نعرف اسم الآب[٢]

١ من لا يشعر يا ابني! من يُكنّى
يعلن السبب لكنياته
وحيث الضرورة كبيرة، يبقيها، يتركها.
في وقت الوصيّة الأخيرة، الصكوك والسؤالات
فتُطلَب الأسماء
الأسماءُ الحقيقيّة، في ذلك الوقت لتجعل ختمها على الحقيقة.

اللازمة: التسابيح لوالدك!

٢ من لا يعرف! حين صُلب ربُّنا
دعا أباه وكلَّفه بأيتامه وتلاميذه[٣]:
«يا أبي، خذهم واحفظهم»[٤]
وحين بُعث من الموت، خُتم بواسطة موته،
أنَّه ابن الآب. أَعبر في الكور اسمَه
ليكون الإيمان به في العالم كلِّه.

٣ من لا يعترف! حين كان على الصليب

(١) اللحن عينه. القصيدة الخامسة عشرة (يه). مع حرف الميم في بداية كلِّ مقطع شعريّ: من لا يدرك؟ من لا يعلم؟ من لا يعترف؟ من لا يندهش؟

(٢) ويتواصل الكلام عن اسمَي الآب والابن. كيف نعرف ذلك؟ نعود إلى الإنجيل: من رآني رأى الآب. ونحن ننظر في الابن فنعلن اسم الوالد واسم المولود.

(٣) يو ١٤: ١٨. «لا أترككم يتامى». هذا ما قال للتلاميذ في خطبة الوداع الأولى.

(٤) يو ١٧: ١١. ذاك ما قال يسوع في الخطبة الثالثة، أو الصلاة الكهنوتيّة.

دعا أباه وكلَّفه بجسد إنسانيَّته(٥)
وهكذا يصدِّقون أنَّه الابن
صوتُه شقَّ القبور ومزَّق بيت القدس(٦)
كتب لشعبه وحلَّه(٧)، دعا الشعوب وقرَّبهم
ووضع ختمه على الميثاق كالابن الحقيقيّ.

٤ من لا يندهش! مضت الكلمة
في فم مخلِّصنا حين رقدَ جسدُه
«يا أبي، بين يديك»(٨)
هو قول، فسبقت كلُّ الأقوال قوله
كما اعترف شاهدٌ كبير، كفلَ، كتب
ووضع الختم: ما هو عبد، بل كابن شبيه بأبيه.

٥ مثل ذاك الحارس المميَّز
الذي دُعيَ قائدَ المئة(٩):
تفوَّ، حفظ أقوال مخلِّصنا، وأكثرَ
دعا أباه بصوت جاء بعد كلِّ الأصوات
الأرض من تحت تزعزعت، والسماء في العلاء أظلمت
وهو صرخ ووضع ختمه أنَّه ابن الله.

٦ من ربِّ الكلِّ بالذات، تعلَّمْ كم هو عذب!

---

(٥) لو ٢٣: ٤٦: في يديك أستودع روحي (على الصليب).

(٦) مت ٢٧: ٥١، عند موت يسوع.

(٧) أعطاه كتاب طلاق، كما الرجل امرأته في ذلك الزمان. وعروسه الجديدة هي الشعوب بعد أن رفض الشعب الأوَّل ما قُدِّم له.

(٨) لو ٢٣: ٤٦. عند ساعة الموت

(٩) قائد الجنود. ܩܢܛܪܘܢܐ (في A. أو: ܩܢܛܪܝܘܢܐ، في B). اسم يعود إلى اليونانيّة واللاتينيّة مع لفظ Cent كما في الفرنسيّة. مر ١٤: ٣٩. قال: هو إبن الله. هو تميَّز مع أنَّه وثنيّ! والمؤمنون اليوم!

هو ما دعا نفسه باسم الكينونة[١٠]
اسم الكائن عظيم هو
فهو أرفع في عدالته منه في طيبته[١١]
ما أحدر علاءه ليُلبس البرايا اسمه وكنيته
لأنَّ اسمَه هو الكائن.
٧ من لا يندهش باسمه وبحنانه:
اسمه متمرِّدٌ على الجميع وحبُّه ينحني إلى الجميع[١٢].
وله أسماء أخرى عذبة
ترمي نفسها للمخلوقات.
وتنحني لتعظِّم عبيده بكنياته
فيها نزل وألبس أسماءه لمقتنياته.
٨ الملك السماويّ دعا الملوك عبيده[١٣]
وبما أنَّه الإله، دعاهم أيضًا آلهة[١٤]
وبما أنَّه الديّان، هم يدينون بمعياره[١٥]
وبما أنَّ هؤلاء يمشون، دعا نفسه «تعبًا»[١٦]
وبسبب مطاياهم، صنع لنفسه مركبة[١٧]
لكي يتشبَّه بنا في كلِّ شيء.

---

(١٠) ܐܝܬܘܬܐ. الكائن (ܐܝܬܝܐ) الأزليّ، الجوهر الإلهيّ.

(١١) بين العدالة (ܟܐܢܘܬܐ) والطيبة (ܛܝܒܘܬܐ) أو النعمة. نكتشف العهدين مع التجسُّد هو الإله الطيِّب، الحنان، كما في المقطع التالي.

(١٢) اسم الله لا يمكن أن «يدجِّن»، فيصبح في متناول الإنسان. وتجاه الأمم هو الحبّ (ܚܘܒܐ).

(١٣) مز ١٠٨: ٩ (جلعاد، منسّى، موآب). رج مز ٢: ١٠-١١.

(١٤) يو ١٠: ٣٤؛ ق مز ٨٢: ٦؛ رج خصوصًا مز ٥٨: ٢: ܐܠܗܐ، آلهة. ترجمنا: حكّام.

(١٥) مت ١٩: ٢٨: تدينون أسباط إسرائيل.

(١٦) يو ٤: ٦. هكذا بدا عند بئر يعقوب في حوار مع السامريّة.

(١٧) مت ٢١: ٧. وذلك حين دخل إلى أورشليم.

٩ من أمام هذه كلِّها، يكون جاهلاً، صعبًا،
ليؤمن ولو قليلاً!
بما أنَّ البشر دُعوا بأسمائه
يكون واحدًا كيانُ الإنسان والإله
وبما أنَّ السيِّد دُعيَ باسم العبيد
وُزن المصنوع والصانع في مقابلة واحدة.
١٠ حين دعانا «ملكًا» باسمه الخاصّ،
كانت الحقيقة لديه، ولدينا الشبه
وحين دعا نفسه باسم عبيده،
كان الكيان لنا والكنية لديه
اسم الحقيقة معروف، ومعروف اسم الاستعارة
لدينا ولديه أيضًا.
١١ الآن للمميَّزين:
في مراحمه سرَّح أسماءه لمقتنياته
لا ليتعقَّبوا بل ليذوقوا العذوبة
ليتوقَّف البصُّ إخوتي ونُكثر الصلوات
وإن لم نكن متآخين له، فهو من جنسنا
وإذ هو مفصول عن الجميع فهو على الكلِّ وفي الكلّ.
١٢ فلو لم يفصل نفسه عنّا،
لما قدر أن يُلبس أسماءه لمقتنياته
ولو لم يجعلنا نَكره شرَّنا ويكثر
لصنع هوَّة لا تُعبر أبدًا
سبَّبها الكتبةُ الذين اقتلعوا الأسوار بالسؤالات
والتخومَ بالتعقُّبات.

١٣ من لا يتوه
ممّا فعله العبيد الأشرار والظالمون:
بدلاً من أن يعترفوا به، كرَّبهم الصالح
الذي أتى إليهم بابنه، سهَّل قلبه معنا،
حلَّ بذاته فينا، وتكلَّم واثقًا بنا.
ذاقوا طعم حبِّه، وذاق مرارتهم[١٨].

(١٨) حين نأخذ اسمًا وكنية، نقول السبب. ويسوع دعا الله أباه على الصليب وبعد غسل الأرجل. قال كلامه، ووقَّع (ܫܠܡ) ليدلَّ على صحَّته. هو الابن لا العبد. وهذا ما أعلنه قائدُ المئة. في ألوهته، هو العادل، هو الاسم الذي لا يدرك. في إنسانيّته هو الحنان والطيبة والحبّ. رفعنا إليه، وتنازل إلينا. ولكن نفهم أنَّ ما هو حقيقة بالنسبة إلى الله، هو تشبيه بالنسبة إلى البشر. والمضلُّون الذين ذاقوا حبَّه، نسوا أنَّه ذاق مرارتهم على الصليب، حين سقوه الخلَّ والمرّ.

النشيد الرابع والستون[١]

إقتلع الشوك يا ربَّنا[٢]

١ يا ربَّنا، اقتلعْ الشوك الذي هو زرع الشرِّير
وأبعد الزؤان.
فالباصّون رأوا وفرحوا لأنّنا نتخاصم.
توحَّدوا في انقسامنا، واجتمعوا في تبدُّدنا
فرحوا لأنَّ كورنا ما دحض زيفَهم
ونورنا أوصامَهم، وكلامنا جدالاتهم.
اللازمة: التسابيح لعدالتك!
٢ من لا يبكي! كيف انقلبنا!
حيث وجب أن نسكت، جعلنا الضجيج
وحيث وجب أن نردَّ، وضعنا لجامًا
أخذنا بالوجوه وأهملنا
فقط في وجه الله قُمْنا
لنبصَّ فيه كيف هو.
٣ من يقدر أن يبصَّ حتّى في الشيطان
الذي يُفسدنا ويبلبلنا:
كيف له حواسّ؟

---

(١) اللحن عينه. القصيدة السادسة عشرة (يو). وبداية كلِّ مقطع بحرف الميم.

(٢) تلك بداية القصيدة: الشوك الآتي بعد الخطيئة (تك ٣: ١٨) والزؤان الذي زرعه الشرِّير (مت ١٣: ٢٥). هؤلاء الذين لا يقدرون أن يبصُّوا في الخلائق، يريدون أن يبحثوا في جوهر الله. فلماذا لا نعود إلى الكتب المقدَّسة؟

وأين نُقبت له الأذن والبصر
وإن له فم فلا جسد له
وإن له أعضاء فلا مفاصل له.

٤ من الذي بصَّ في الشيطان اللعين
الذي يعلِّمنا أن نبصَّ في الخفايا؟
هل هو كلُّه في كلِّ إنسان؟
وكيف يقدر أن يمزج فكرَه بوجداننا؟
وكلماته داخل كلماتنا؟
وكيف يحرِّك إرادته في قلبنا؟
مدهش هو في بغضائه.

٥ من لا يخجل من الشرِّير
الذي يدخل في الجسد ليهزأ بالنفس الحالّة فيه
وكيف لا تشعر بتعلُّقها بالشيطان
حلَّ فيها، أقام فيها ديره، وما أدركت
أنَّها تحسب إقامته، تجسُّها
فقبل أن تبصَّ في ربِّها، يا ليتها تبصُّ في قاتلها(٣).

٦ من بصَّ في الأرض؟
ساعة يُحفظُ كيلُها، تمتدُّ بدون كيل
من أين كدَّسَتْ وأصعدت السنابل
والتمرات للحلاوة، والعناقيد للخمور
والزيتونات للزيت
من أين يحمل الزرع الألوان والروائح مع العطور

(٣) لا تعرف النفس شيئًا عن الشيطان الذي «يقيم» فيها. لماذا لا تبصُّ فيه؟ بل هي تفضِّل أن تبصَّ في الله. فما أتعسها!

٧ أيقدر الإنسان أن يقول لنا:
كيف المياه تُنمي الزرع وتُكثره.
فمنه وبه إسأل الينبوع أيضًا
من الذي ينميه فيَجري ولا ينقص
الصالح الذي يُكثر كنز الينابيع
هو يكثر كلَّ شيء كي يُحيي كلَّ شيء.
٨ من رأى بهيموت، من بصَّ فيه على اليابسة(٤)!
في البحر لاويثان(٥)
فكيف بلا أكل هما ضخمان، متجاهيان
من مسَّ حضنَيْ قنّهما المخيفين
فكم(٦) هو خفيٌّ عن الجميع ابن ربِّ الكون
ومن يمسُّ الحضن العظيم، حضن والده.
٩ من يقدر أن يحسب أيضًا عدد الطبائع!
ها(٧) هي بعيدة عنّا في البحر وفي اليابسة.
ولا تعرف نفسُنا كيف تصوِّرها
ها كلُّها صعب، حين تهتف معًا
لا تتعلَّقوا بالهواء.
هدِّئوا جدالاتكم أيُّها البشر الضعفاء.
١٠ هل يقدر الإنسان أن يقول لنا:
من أين عرفتَ أنت طبيعة ربِّ الجميع

(٤) وبعد الأرض والمياه، عاد أفرام إلى الكتاب المقدَّس. ܒܗܡܘܬ. البهيمة في المطلق اعتبروها تجسيمًا لوحيد القرن. رج أي ٤٠: ١٥ي.

(٥) ܠܘܝܬܢ. الملتوي. جُسِّم في التمساح. رج أي ٣: ٨؛ مز ١٠٤: ٢٦.

(٦) راح أفرام في خطِّ الكتاب الذي جعل أيّوب يندهش أمام الخليقة وعظمتها. إن كان الإنسان لا يقدر أن يمسَّ هذين الحيوانين الضخمين، فهل يقدر أن يمسَّ ولادة الابن.

(٧) هكذا نقرأ في B (ܗܐ). أمّا في A ففعل الماضي (كان): ܗܘܐ.

حرام عليَّ أن أقرَّ أنّني يومًا عرفت
كتُبُه بيَّنت في شأنه:
بما أنَّه ينبغي أن نصدِّق الله، سمعتُ وصدَّقتُ.
ففطمتُ بإيماني، بصَّ وقاحتي.

١١ ما طفتُ يومًا وراء الناس
فأقول كما يقولون
رأيتُ في السماء أمورًا أخرى لم تُكتب
دعوا مخلِّصنا
تركتُ ما لم يُكتَب وخرجتُ بما كُتب
لئلاّ أُبيد ما كُتب بسبب تلك التي لم تُكتَب.

١٢ خلق الله المياه ووهبها لفائدة السمك.
رسم الكتب ووهبها لمساعدة الإنسان
وشهد الواحد للواحد
إن تجاوز السمك تخوم مسيرتهم
تكون رقصتُهم ألمًا.
والبشر إن تجاوزوا تخوم ما في الكتب،
صار التعقُّب موتًا لهم[٨].

---

(٨) هو الجدال في الكنيسة: هل نستطيع أن نبحث في جوهر الله. وبداية البحث تنطلق من خطأة لا يرون في المسيح إبن الله. وبالتالي لا نقدر أن ندعو الله أباه. وإذا كان الله ليس آب الابن، فكيف نستطيع نحن أن ندعوه: أبانا؟ فنحن أبناء في الابن، كما يقول الرسول. لا تستطيع النفس أن تعرف الشيطان. تحاول فتبحث فيه بحيث لا يقتلها. ماذا نعرف عن الأرض، عن المياه، بل عن جميع الطبائع. من أراد أن يعرف يكون كمن تعلَّق بالهواء. وفي النهاية، ما هو موقف أفرام؟ ماذا كُتب في الأسفار المقدَّسة؟ هذا ما يأخذ به. وما لم يُكتَب يبتعد عنه لئلاّ يخسر ما كتب. ومهما كثر الناس الذين يسيرون وراء البدع، وراء الأريوسيّة، فأفرام لا يسير وراءهم كالماشية، ولا يقول ما يقولون.

النشيد الخامس والستون[١]

لا معرفة لله خارج الكتاب[٢]

١ من جُنَّ يومًا فبحث حيث لا نور،
وبصَّ حيث لا ظهور للشمس، ومسَّ حيث لا شعاع
خرج الكتبة الجاهلون برّات الكتب
فتاهوا في القفر.
أهملوا الميثاق، طريقَ الملكوت،
جعلوا الأنبياء على أميال والرسل مآوي.

اللازمة: التسابيح لجمالك!

٢ تكلَّمْ بدل جانبك:
الطبيعة أمام يديك، اكتب أمام عينيك
الطبيعة صعبة لنا، الكتاب مفسَّر لنا
نحن ما تعلَّمنا عن المسيح في الطبيعة
ينبغي أن نبحث عن لاهوته
حيث تعلَّمنا عن ناسوته.

---

(١) هي القصيدة الأخيرة، السابعة عشرة، التي تُتلى على اللحن عينه. وهي تنتهي بما كتب مَن جمعَ آثارَ أفرام: كملت المدارش ١٧ (كما في B، لا ١٦، كما في A)، التي جاءت على لحن: قطيع برديصان.

(٢) في النشيد السابق، شدّد أفرام على ما كُتب في الأسفار المقدَّسة. هو لا يبتعد عن كلمة الله التي هي وحدها النور. أمّا الأريوسيّون فتركوا الكتب المقدَّسة، وهكذا ضلّوا عن الحقّ. نلاحظ أنّ اسم آريوس لم يُذكر مرّة واحدة في هذه الأناشيد، ولا برديصان (ما عدا عنوان اللحن) ولا ماني (مرقيون، مرّة واحدة). أمّا الإشارات فجاءت كثيرة، ولاسيّما في ما يخصُّ الأريوسيّة.

٣ ممّا تعلَّمنا عن ولادته من مريم،
ينبغي من هناك
أن نتعلَّم ولادته المجيدة والأولى
وكما نقبل بالطبيعة في كلِّ شيء
تقدر الطبيعة أن تبيِّن لنا
حول الآب والابن والروح
هذا إذا بالحقيقة تعمَّدنا فيهم من أجل الحياة.
٤ عمادُ الوقح يُغلَب من ذاته وفي ذاته.
أو هو يُنكَر لأنَّه[٣] لاصحيح! وإن هو اعتمد وتثبَّت
شابه مرقيون[٤] الذي أكل ما هو لصانعه
وكفر بصانعه.
حُبل به ووُلد وهو يحتقر الزواج
هو ثمرٌ مرٌّ ينكر جذره.
٥ مَن، إذا تعمَّد،
جادل في ما به تعمَّد، وأحلَّه؟
هو لا يقدر أن يحلَّه لأنَّه لا يقدر أن يعمِّد
من دون أسماء الآب والابن والروح
وإذ تقوم هذه الكلمة نفسها في كلِّ شيء،
أخذتَ اختبار أولئك الوقحين.
٦ من بصَّ في الأحضان وفي طوايا الخلائق،
في طعوم التبدُّلات، في الطبائع المتحوِّلة
منها ما هو وحده، ومنها ما يلد

(٣) كذا في B: ܒܠܐ. أمّا في A: ܘܠܐ: ولاصحيح.
(٤) مرقيون أنكر الزواج.

ننذهش بالأشجار التي تتزاوج، يا إخوتي.
المجد لخالقها!
تعقُّبها صمت هو، وجدانُها سكوت.
٧ من بصَّ في الزيتونة؟ إذ تظَنُّ سويّة
تلد بتميُّز أوراقًا لا متشابهة،
للأغصان بألوانها
تلد عروقًا غريبة بطعمها عن الثمار
ففي الثمرة الواحدة تبطَن ثلاث
وحين تُعصَر، تلد المياه والحليب والزيت.
٨ من بصَّ في النار!
كيف هي مبطَّنة في حشا الخشب؟
وكيف أنَّ السحق على مثال الحليب(٥) يعصّ ويلدها
نجعلها لاستعمالنا على مثال رجال
ما رأى النار يومًا، بل سمع فقط بخبرها
هل يقدر أن يبصَّ فيعرف: ما هي وكيف هي؟
٩ انطلاقًا من الوجدان وله وحده،
هل يقدر أن يدرك ويصوِّر في ذاته شبهَ اللهيب؟
طبيعتان اثنتان تفيضان أيضًا منه
شعاعه وحموُّه
واحد يُرى في العين وآخر تَجسُّه اليد.
وإن نحن ما رأيناه لا نقدر أن نتعقَّبه.
١٠ وإن بصَّ أعمى في النيِّر
وهو لا يقدر أن يصوِّر الشمس وشعاعها

(٥) كما في A(سحا). في B: سحلا: الحبل.

في قلبه وفي فكره(٦)
فهل يقدر أن يكون كفوءًا
ليرى شعاع تلك الشمس(٧) وولادتها
إلاَّ إذا آمن فقط إيمانًا بما قيل له.

١١ إن أراد أعمى أن يكون صعبًا
فيسمع ولا يؤمن
في ربوات من الشرور سقط حين بصَّ ما أدرك
وأراد الأعمى أيضًا أن يجد نفسه في اثنين:
في العين وفي الوجدان
فإن أراد أن يؤمن أنار عماه
إقناعُ الإله العادل(٨)

١٢ كيف نحن مسحوقون، نحن بالتساؤلات
كيف نحن مبلبلون، نحن بالتعقُّبات
وجداننا عميَ لأنَّه حدَّق في ذلك المولود
وبصَّ فيه ليعرف كيف هو.
فلا سبيل آخر للإنسان إلاّ هذا فقط:
أن يؤمن إيمانًا بالقول الحقّ.

١٣ من لا يخاف!
إذا وُبِّخ الأعمى لأنّه سمع وما صدَّق،
كلمة إنسان أراد أن يقول له:
أين هو النور؟

(٦) كما في B: ܘܒܡܣܟܠܬܗ. أمّا في A فنقرأ مع دال المضاف: في قلب فكره.
(٧) وهكذا ننتقل من شمس إلى شمس. من الشمس المادّيّة إلى الشمس التي هي يسوع.
(٨) حرفيًّا: ܟܐܢܘܬܐ: العدالة.

فكم يدان ذاك الذي سمع وما آمن
بقول الله؟
فقول والده[٩] يكرز: هذا هو ابني[١٠].

(٩) مت ٣: ١٧: هذا هو ابني الحبيب.

(١٠) نسيَ الأريوسيّون طريق الكتاب المقدّس، وعادوا إلى الإنسان الطبيعيّ، إلى العقل الفلسفيّ اليونانيّ الذي لا يتصوّر اللاهوت نازلاً في الخليقة. مع الظاهريّة، اعتبرت الهرطقة أنّ الله تظاهر أنّه نزل في جسد، صار بشرًا. ومع الأريوسيّة، يسوع هو إنسان وحسب. وكان قريبًا من الألوهة، ولكنّه لم يكن الله ولا إبن الله. لهذا نعود إلى الكتب المقدّسة التي تعلّمنا عن لاهوت المسيح وناسوته، عن الأقانيم الثلاثة. ومن العماد نفهم موضع الثالوث. إلى العماد عاد أفرام مرارًا. فهذا ما يعيشه المؤمنون، فينفصلون عن اللامؤمنين. ولماذا لا ننظر إلى المخلوقات؟ إلى الزهرة، إلى الزيتونة، إلى النار. إذا الأعمى لا يقدر أن يرى، عليه أن يصدّق. ونحن الذين لا نرى الألوهة، لماذا لا نؤمن إيمانًا ثابتًا؟

النشيد السادس والستون[١]

حرب في الكنيسة

١ يا من تواقح وأضلَّ نفسه
وأراد أن يحيط بتخومه
مع أنَّه غبار!

اللازمة: السبحُ للابن!

٢ من شعر أنَّه تراب
يشكر الإصبع التي جبلته
وأتقنته.

٣ بين المجادلين، سقط التحرِّي
في البحر العظيم ليكيِّله
وكأنَّه مجرى ماء.

٤ على الجبل العظيم جعلهم باطلاً
وها هم يُسحقون كما في الميزان
ليبصُّوا في علائه.

٥ في شمس خفيّة[٢] حرَّكهم إبليس
وجعلهم ظُلمة فما عادوا يرون
ولكنَّهم يبصُّون.

(١) اللحن: إن أنت تتعقَّب الكائن الأزليّ. مع حروف الأبجديّة: أ أ ب ب ب ب ب ب ب ب. ج. د. ه ه. و. ز. ح. ط. ي. ك. ل. م م م. وفي النشيد التالي، تكمَّل الأبجديّة، بدءًا بالنون وصولاً إلى التاء.

(٢) كما في B (ܚܦܝܐ). في A: ܚܦܐ: كسا، غطّى.

٦ بالأقانيم الثلاثة الذين بهم تنقُّوا[٣]
ها قد صاروا عميانًا حين انقسموا
حول أسماء الأقانيم.

٧ في البيعة البحث وأمام المقدس
قلب منقسم حول عقم
تعقُّب الله.

٨ في البيعة الحسد يعضُّ الإنسان
وفي سفينة نوح[٤] عهد أمان
للحيوان المفترس.

٩ بعلّة الحقِّ كانت أقداس
وصنعوا جعبة من أجل بحث
امتلأ سهامًا.

١٠ الشرِّير ملَّق البسطاء
وأدخل سحقه وسط التساؤلات
قاطعة الرجاء.

١١ رفع الناس أنفسهم
بما لا يفيد،
ليتركوا ما وُهب لهم.

١٢ سكروا فلبسوا التحرِّي
مثل درع. مزَّقوا الحقَّ
مثل الثياب.

---

(٣) إشارة إلى المعموديّة باسم الأقانيم الثلاثة.

(٤) **ܚܘܡܠܐ**. كما في الكتاب المقدَّس (تك ٧: ١ي). وراح آباء الكنيسة، في خطِّ المصلّين اليهود، يبرزون الأمان داخل سفينة نوح، مع أنَّ الذئب كان قرب الحمل.

١٣ أمّا الحقُّ فلا ينقسم
مزّقوه تمزيقًا،
رموه بعيدًا عن الملكوت.
١٤ ها قد لبسوا السلاح كما في القتال
من أجل انتصار
فيه تختفي هزيمتُهم.
١٥ ولمّا ظنّوا أنّهم ارتموا في القتال
من أجل الحقيقة
من أجل المديح(٥) ارتموا في الجهاد.
١٦ انتصروا فتبختروا، غُلبوا فتعجرفوا
حين سُلبوا، قالوا:
ينبغي أن نموت من أجل الحقّ.
١٧ تحرِّياتهم جرَّتهم
فقالوا أقوالاً
لا يحقُّ للسان بها.
١٨ طافوا مثل الأمواج بين الأمواج
داخل طوفان
لا يجسُّه الوجدان
١٩ أتى يوم فأتى بالجدال،
ما نقص الكبرياء
أذىً جديدُ.
٢٠ سحقوا الكتب، لا ليقرأوا،
بل ليتيهوا

---

(٥) ܫܘܒܚܐ. يأخذون شهرة، يعرفهم الناس، يمتدحونهم. رج لو ٦: ٢٦. هكذا يُمدَح الأنبياء الكاذبون.

كيف يصُّون، وكيف يخاصمون!
٢١ لبسوا في الداخل غضبًا خفيًّا
فنالهم اللوم
لأنَّ الحيّة صفرت داخل كلامهم.
٢٢ من يقدر أن يُهدئهم!
حين يظنّون أنَّه يطلبون الحقَّ،
يطلبون الخصام.
٢٣ في الطريق الملكيّة
تركوها الجهّال وتمسَّكوا بالقفار
فتاهوا فيها.
٢٤ من يجري في طريق الملك،
هو يجري للقاء الملك
ولنوال مواهبه[٦].

(٦) بحث الأريوسيّون في طبيعة الثالوث، فحملوا الحرب إلى الكنيسة، يقودهم إبليس. حسبوا أنَّهم يحاربون من أجل الحقّ، فإذا هم يريدون أن يُرضوا أنفسهم ويخرجوا من عامّة الشعب فيراهم الناس ويمجّدونهم. غرقوا، هُزموا، ومع ذلك، رفعوا علامات النصر. جعلت لهم الكتب أميالاً يعرفون بها طريق الملك، طريق الملكوت، فتركوها ليتيهوا في القفار.

النشيد السابع والستون[١]

رايةُ الحقيقة[٢]

١ راية الحقيقة وُضعت في الكتب المقدَّسة.
تركها الجهّال
وشرعوا يرمون[٣] ربَّ الراية.
٢ نسأل إن وُجد بين القوّاسين
من تركوا الراية ووجَّهوا السهام
على ملوكهم.
٣ تلك هي الراية:
الآب واحد هو، بلا انقسام.
والابن واحد هو، بلا تعقُّب.
٤ راية جليّة وُضعت في النور
فرمى الجاهل سهامًا مبلَّلة
داخل الظلمة.
٥ يكون السكوت حدًّا للمتكلِّمين،
وحدًّا يكون الصمتُ للباصّين
في الخفايا.
٦ يتعلَّم الفمُ كيف يتكلَّم

---

(١) هو امتداد للنشيد السابق مع اللحن نفسه. لذلك لا نقرأ اللازمة. وتتواصل الحروف الأبجديّة: ن ن ن ن ن ن ن. س. س س. ع ع. ف ف ف ف ف. ص. ق. ر ر. ش ش. ت ت.

(٢) ن ي ش ا. الكتاب المقدَّس هو راية الحقيقة. لماذا لا نسير وراءها.

(٣) بالسهام. أو نقرأ: يرمون راية للربّ. أي يمشون أمامه ليتبعهم.

ثمَّ(٤) يتكلَّم
لئلاّ يندم بعد الكلام.
٧ يتعلَّم أوَّلاً ثمّ يعلِّم
لئلاّ يكون مثل عبّارة
لما لا يفيد.
٨ وُضعت الكتب مثل مرآة
فمن صَفتْ عينُه
رأى هناك وجه الحقيقة.
٩ وُضع هناك وجه(٥) الآب.
صُوِّر هناك وجه الابن
والروح القدس.
١٠ وُضعت أسماء الأقانيم الثلاثة،
الواحد بعد الآخر،
في الإيمان، للمعموديّة.
١١ دخلت علَّةُ البلبلة:
«يجب أن نبصَّ فيهم
أن نتملّكهم».
١٢ دخل التعقُّب، دخل التحرِّي
دخل القتال فهربت الحقيقة...(٦)
١٣ يليق، بدون جدال،
أن نقتني الحقيقة وأن لا تُنزَع من الجميع بالجدال.
١٤ ويليق أيضًا

(٤) ܗܝܟ، كما في C وربّما B. في A يتكرَّر «كيف» (ܐܝܟ)
(٥) كما في A : ܦܪܨܘܦܗ. في BC: ܕܡܘܬܗ: شبه.
(٦) سقط السطر في ABC.

أن نقتني الحياة بالبساطة
ولا نقتني الموت بالحكمة[٧].
١٥ ويليق أيضًا أن نشرب المياه
ساعة نعطش
ولا نكيِّل الينبوع بدلاً من أن نشرب.
١٦ يليق كثيرًا بالفتى
أن يعرف أباه:
يراه ولا يبصُّ فيه.
١٧ والآن يليق
في تدابير الإيمان
أن نتعلَّم الحقَّ، لا أن نتعقَّب.
١٨ إرتضِ بهذا، يا جمعًا مباركًا
إرمِ التحرِّي، والبَسِ الحبَّ
واكرزْ بالحقيقة.
١٩ بدأ الله ففتح كنز مراحمه،
ومن الغبار جبل آدم
الذي لم يكن موجودًا[٨].
٢٠ ركض ففتح باب الشيول[٩]
وأخرج[١٠] منه جسد آدم
الذي صار ترابًا.

(٧) أي بالفلسفة كما عند اليونان وبالتالي الأريوسيّين. رج ٢: ٢٤.
(٨) ما كان موجودًا ووُجد. وهو يريد أن يبصَّ في الأزليّ، الموجود قبل الزمان.
(٩) أو مثوى الأموات. هناك يقيم الموتى منتظرين القيامة.
(١٠) ܐܦܩ كما في A. في C: ܐܣܩ: أصعد.

٢١ وركض أيضًا ففتح الفردوس
بواسطة مواعيده،
وأسكن آدم في شجرة الحياة.
٢٢ السبحُ لمن صنع هذا المفتاح
ومع أنَّه واحد،
فهو يفتح كلَّ الكنوز.
٢٣ السبحُ للآب الخفيّ بوجوده(١١)
السبحُ للابن الخفيّ في ولادته
بختم السكوت.
٢٤ الشكر للآب الذي لا يُحدُّ
الشكر للابن الذي لا يُتعقَّب
مع الروح القدس.
٢٥ ليكثر لي، يا ربّ، السكوت والكلام
بهما أحيا. أخفي البحث عنك.
وأقول سبحَك.
السبحُ لاسمك!(١٢)

---

(١١) ܟܣܝܐ. ܒܐܝܬܘܬܗ: الخفيّ في ما هو كائن. كذا في A. في B: ܟܣܝܐ. ܒܐܝܬܘܬܗ: الخفيّ في كينونته.

(١٢) الكتاب المقدَّس هو الراية التي نسير وراءها. بالبساطة (ܦܫܝܛܐ) الإنجيليّة، لا بالفلسفة والحكمة (ܣܘܦܝܐ) البشريّة. لا نعقِّب، لا نبصّ في جوهر الثالوث. بل نقرأ لنحيا، نشرب من الينبوع ولا نضيِّع وقتنا في البحث عن كميَّة المياه التي فيها. في الكتب نجد صورة الثالوث. وكذلك في المعموديّة. المسيح هو الإله الذي جبل آدم، ثمَّ أخرج جسده من الشيول ومثوى الأموات قبل أن يعيده إلى الفردوس. فلا يبقى لنا سوى أن نسبِّح الثالوث ونشكره، ونؤمن به بين السكوت والكلام.

النشيد الثامن والستون[١]

الانقسام بين الإخوة[٢]

١ في الكتاب السلام، في البشر الانقسام
من الحرِّيَّة كانت الخصومات
حول الحقيقة الواحدة.

اللازمة: السبحُ لك يا ربّ!

٢ بعلَّة الحقيقة،
أحبَّ[٣] المجادلون البشر الضعفاء
ودعوهم إليهم.

٣ اختاروا الجموع
صاروا عظماء، عظماء آلاف ومئات،
عظماء عشرات.

٤ امتلأ العالم أمانًا:
جيوش جيوش، كلٌّ السابين الذين سبوا المختارين
الواحد من رفيقه.

٥ همسوا وجادلوا كما في الجهاد
الإخوةُ على الإخوة رموا سهامهم

---

(١) اللحن عينه، مع حروف الأبجديّة (أ– ت). ولكن لا نجد الألف في المقطع الأوّل، بل الكاف: الكتب.

(٢) ما زال أفرام يعتبر الأريوسيّين من جسم الكنيسة. فلماذا القتال والانقسام، وأين الشهادة المسيحيّة؟

(٣) ܣܥܕܘ (كما في A). في B: رسموا (ܪܫܡܘ). اعتبروا أنَّ الضعفاء بحاجة إلى الرحمة والمحبّة. هم ضائعون في الكنيسة، فنأتي بهم إلينا.

يا للحزن العظيم!

٦ ضعفوا، أصلتوا ألسنتهم
ضربوا وضُربوا
لا دمَ هناك ولا خوف.

٧ هائج السيف وإن هو ضعيف
محتقَر اللسان وإن هو قاتل
لأنّه أعمى.

٨ كبرياء فارغة بلبلت المجادلين
مثل مقاتلين يَضربون ويُجرَحون
فتأوّه الإكليل.

٩ حقًّا غُلبوا بما به انتصروا
والعلَّةُ هي وقاحتهم
يا للويل العظيم!

١٠ أين هو الذي انتصر؟
فالمنتصر غُلب أيضًا كثيرًا
وهو أيضًا غلبته عجرفتُه.

١١ كم يتضاعف الضرر للمغلوب
غُلب في الجدال، غُلب في الحسد
يا للضرر التامّ!

١٢ من جسَّ رفيقه في البحث
حبسه كبرياؤه كما في جبٍّ
يا للانحطاط الكبير!

١٣ الواحد امتلأ غضبًا، والآخر خصومة
من ربوات الشرور
وأيُّ رجاء لمن قطع الرجاء!

١٤ نبكي
لأنَّهم سعوا على الله وعلى الإنسان
ليُخفوه بالكلام.
١٥ في الأرض مشاجرة على مَن في السماء
فسدت الأرض
فاح عطر الجدال كالدخان.
١٦ اقتلعوا السماء وسماء السماء
ممّا تعقَّبوا
وكهوفَ الأرض ملأوا تجاديف.
١٧ السماوات تُقيتُ التحتيّين
الطلَّ والمطر
وفيضًا مملوءًا من كلِّ خير.
١٨ جمعت[٤] الأرضُ على العلويّين
كلَّ التساؤلات
وجدالاً امتلأ بكلِّ تجديف.
١٩ الوحول[٥] نشبوا مع رفاقهم
في جدالاتهم
فسقطوا على الأرض وصاروا ترابًا.
٢٠ ربواتُ ربوات من الملائكة هادئون
وبقّتان اثنتان، النفس والجسد
تعيشان البلبلة.
٢١ ميخائيل ساكت مع جبرائيل

(٤) في A: ܪܒܛܬ. أمّا في B: ܕܒܛܬ (الدال بدل الراء): ربط، جمع.
(٥) الأناس الذين هم من وحل. لهذا حافظنا على صيغة الجمع.

والتراب يجادل مع الغبار
يا للغيظ العظيم!

٢٢ سارعِ المرضى، بطلت أقوالُهم
وتعقّباتهم وجدالاتهم
بواسطة النهاية.

٢٣ الشكرُ لك يا ربّ،
أبعدتَني عن تعقُّب الوقحين جميعًا
لأحيا قدّامك(٦).

(٦) هي صورة عن الحرب في الكنيسة. الأريوسيّون يدعون المسيحيّين ليتبعوهم، رحمة بهم. وإلاّ مضوا إلى الهلاك. ضربٌ متبادل. جراح هنا وهناك. وهكذا افترقت الأرض عن السماء؛ في السماء سلام، أمان. وعلى الأرض ضجيج، خصام. فرحَ أفرام لأنّه أُبعد عن حزب الوقحين الذين يتعقّبون اللاهوت.

النشيد التاسع والستون[1]

الإله بحرٌ لا حدودَ له

١ إن تعقَّبتَ الكائن الأزليّ، تتيه:
أين تبدأ، وأين تنتهي،
أيُّها التعيس!

اللازمة: السبحُ للآب!

٢ بين البداية والنهاية
كانت الراحة
لمن يسير في الطريق الملكيّة.

٣ الكائن الأزليّ
لا بداية له ولا نهاية
لذلك صعبٌ البحثُ فيه.

٤ إن تقسَّمت في حقيقة تمسّك
تريق نفسك كالماء،
يشربك ضلالُ الأرض العطشى.

٥ إن تعبت فرنوت إلى الخفيّ
يكون الجدال فيه
بحرًا عظيمًا يندلق عليك.

(١) اللحن عينه. هي القصيدة (د) في المجموعة ذات اللحن الواحد. ويرافقنا هذا اللحن حتّى النشيد ٧٩. هي ١٣ قصيدة. نلاحظ كيف أنَّ جامع قصائد أفرام جعلها بحسب اللحن الواحد. ويكون الشاعر قد قالها في أكثر من مناسبة.

٦ في الإيمان، كما في سفينة،
إجرِ بين الكتب
مثل ملاَّح بين الموانئ.

٧ لا تجرِ في البحر بدون الكتب
فقد أَكثر موانئه بين الأمواج
فاعترفْ باسمه.

٨ أهمل نفسه في حبِّه، صغُر وهو كبير
صار ينبوعًا صغيرًا[٢]
يجري فيه كلُّ ضعيف.

٩ وفي حبِّه أيضًا
صار بحرًا عظيمًا يتاجر فيه
مَن يحتاج إلى ذخائره.

١٠ لو تصرَّف بحسب كيانه،
لا العلويّون ولا التحتيّون
استطاعوا الجريَ فيه.

١١ أي صنيعة
تقدر أن تبصَّ في الإله
فالهوَّةُ بينَها وبين الخالق.

١٢ الإله لا يبتعد
عن مقتناه
فالحبُّ هو بينه وبين البرايا.

١٣ بين الباصِّين،

(٢) ܦܪܒܐ في A. في B: ܦܪܢܐ.

لا يقترب أحدٌ من الله
بل هو قريب من المميَّزين.

١٤ من هو نجس
لا يشارك ذاك القدُّوس
الذي يحلُّ كلُّه في القديسين

١٥ أيُّ محتال
لا يبلغ إلى ذاك العارف
فحبُّه هو لدى الودعاء.

١٦ من تكبَّر
لا يبلغ إلى ذاك العليّ
فحبُّه تنازل إلى الوضعاء.

١٧ هذا الإله
لا تحيط به الإنسان
مع أنَّ حبَّه كبير للبشر.

١٨ هذا الصانع
لا يحيط به صنائعُه
مع أنَّ صنعه كبير جدًّا.

١٩ إبن الإله الحيّ
لا يتكلَّم عنه المائتون
ولا عن ولادته المجادلون.

٢٠ من يقدر أن يفي هذا العظيم!
الروح ضعيف، النفس ناقصة،
الجسد تعيس.

٢١ من ظنَّ أنَّه يبصُّ فيه ويفي،
تاه كلامه، طاف قلبه،
وكان وقحًا كلُّه[٣].

(٣) لا نستطيع أن نبحث في بحر الألوهة، إلاَّ عبر سفينة الإيمان وموانئ الكتاب المقدَّس. غير أنَّ هذا الإله الذي لا يدركه الملائكة ولا البشر، تنازل في حبِّه إلى الودعاء، إلى الضعفاء، فصار قريبًا منهم. ولكنَّه لبث بعيدًا عن الباحثين والنجسين والمحتالين والمتكبِّرين، لا نصل إلى الآب بطبيعتنا البشريّة، ولا إلى الابن.

النشيد السبعون[(١)]

الله والنفس البشريّة

١ بأيِّ عين يتطلَّع المصنوع
في ذاك الصانع
فهي الخليقة وهو الخالق.

اللازمة: السبحُ لاسمك!

٢ بالنفس التي فينا
نتطلَّع وننظر
هي لا تُرى في الوجدان ولا في العين.

٣ إن طلبتَها في الوجدان،
اعترفَ واحدٌ بها وآخر أنكر
يا للشكِّ الكبير!

٤ النفس العمياء
لا تقدر أن ترى بدون ذاتها،
فكيف تحدِّق في الإله!

٥ وإن كانت لا تقدر أن تمسَّ ذاتها،
بأيِّ حواسٍّ
تتواقح وتطلب ذاك الخالق!

٦ بين الموانئ، إجرِ يا تعيس!
إن اشتدَّ البحر، الميناء قريب،

(١) اللحن عينه، كما في النشيد ٦٦. هي القصيدة الخامسة.

مثل ملجأ هو.

٧ إقتربْ وبصَّ قدرَ قوَّتك
وإن تاه قلبُك وباد
تقوَّ بالصمت.

٨ لا السكون هو في البعيد.
ولا بالثمن الغالي
يستطيع فمُك أن يشتري الصمت.

٩ الصمت سهل، الجدال صعب
ولا يرتمي الوقح في البصِّ
بالعنف والإكراه.

١٠ وإن بدت الوصيّة
أنَّها تعضُّ عضًّا
فما هي من الإكراه، بل من الحرّيّة.

١١ وإن كان الناموس لا يقوم بالإكراه
فأيُّ جدال
يقدر أن يعضَّنا لكي نتعقَّب!

١٢ وهب[٢] الوصيّةَ ومنع الجدال
في العهدين
ليس من بحث ولا من بصَّ!

١٣ وهب الناموس بدل التعقُّب
وبدل البصِّ الإيمان
من أجل ضعفنا.

---

(٢) الله وهب العهدين، القديم والجديد.

١٤ الكيانات التي صَنع، لا تُدرِك
فكم بالأحرى كيانه
هو خفيٌّ في ذاته، ولا كلام فيه.
١٥ المولود منه هو يعرفه.
لا يتحرّى.
هو لا يتيه حين يطلبه.
١٦ كلُّ مصنوع يتيه تيهانًا
إن هو بصَّ.
وهو لا يفي ذاك الصانع.
١٧ إن كان حبّه عظَّم شخصنا
تَعرف نفسُنا
أنَّ كياننا لا يقدر أن يبصَّ في كيانه.
١٨ كلُّ خليقة تضلُّ ضلالاً
إن هي حسبت أنَّها تفي
حين تبصُّ في ذاك الخالق.
١٩ ينسى المصنوع
أنَّه إن تعقَّب صانعَه
صار بعيدًا عنه بعيدًا.
٢٠ ما من خليقة في الخلائق
تقدر أن تكون إناء كبيرًا
يحيط بتلك العظمة.
٢١ وما من وجدان
يقدر أن يكون حضنًا وافيًا
لمعرفة الإله(٣).

(٣) إذا كنّا لا نعرف النفس، فكيف نعرف الله؟ نختار بين الصمت والجدال. والجدال ليس ضروريًّا ولا هو مفروض علينا. نعود إلى الإيمان والكتاب المقدَّس. نحن المخلوقون، المصنوعون، نتيه، نضيع ضياعًا حين نتأمَّل في الخليقة، ونريد بعد أن نعرف الله. وحده الابن يعرفه (يو ١: ١٨) وهو يخبرنا عنه.

النشيد الحادي والسبعون[١]

الخليقة في عظمتها وصغرها[٢]

١ الصانعُ مميَّز هو!
ما جاهد في القتال،
كيف يخلق؟

اللازمة: مبارك وقاره!

٢ إن هو صنع إناء
يقدر أن يحيط به
صار الصنعُ أكبر من صانعه.

٣ هذا جهلٌ
أن تكون الصنيعة كبيرة وفاضلة،
ولا يكون صانعها أعظم منها.

٤ وإن كان ذاك الخالق عظيمًا
فكيف تتمدَّدُ الصنيعةُ التي صنع،
مع معرفته.

٥ وإن هو صنع صنيعة
تقدر أن تكون وسيعة معه،
فذاك تيهان لا يُصدَّق.

---

(١) اللحن عينه. هي القصيدة السادسة. ولكن في بداية القصائد ٧١-٧٤، لا نجد عددًا. فنعود في القصيدة ٧٥ ونقرأ (ي): القصيدة العاشرة.

(٢) يتواصل الكلام هنا، في خطِّ القصيدة السابقة: لا تقدر الخليقة أن تحيط بالخالق. هي إناء صغير. لماذا لا نعود إلى الكتب ونستمع إلى الأنبياء؟

٦ كلّ ما صنعه عجيب هو!
فالصانع عظيم،
وبراياه مجيدة هي.
٧ الخليقة كبيرة لأنّ خالقها كبير
وهي صغيرة أيضًا
فكم تكبر هي الضعيفة.
٨ لا شيء صغيرًا ممّا صنع،
من أجل حبِّه
ومن أجل مجده هو صغير له.
٩ والباري
ما تقاتل مع نفسه
ليبرأ شيئًا يحيط به.
١٠ وذلك الصانع
ما كان أحد قبالته يخاصمه
ليصنع شيئًا يضع له حدًّا.
١١ ما كان هناك حسد
بين الباري والبرايا
فحبُّه معطف لمقتنياته.
١٢ لا سبيل لمن خُلق
أن يتقابل في معرفته
مع خالقه.
١٣ حول الخليقة هتفت الكتب:
مهما كبرت
تبقى أصغر من خالقها[٣].
١٤ لا في هذه الأشياء ولا ما يماثلها،

(٣) هذا ما يعود بنا إلى مز ٨: ١ي: «أيُّها الربُّ ربُّنا ما أعظم اسمك في كلِّ الأرض». رج أش ٤٠: ١٥: «ها الأمم كنقطة في دلو».

فكَّر إنسان[٤]
بهذه الثمرة وبوالده.
١٥ الأنبياء هتفوا، الرسل اعترفوا
والعلويّون أيضًا والتحتيّون:
هو ابن العليّ!
١٦ مآثرُه وافرة
في كلِّ الخليقة
تقدر أن توبِّخ حتّى العميان
١٧ من يحتقر
الرعدَ العظيم من كلِّ كارزيه
إلاّ أذن جميع الوقحين.
١٨ مع أنَّ الكارزين به كثيرون
هو شهد لنفسه.
لأنَّ صنعته أكبر من كارزيه[٥].
١٩ ها كلُّ العيون، مع كلِّ وجدان،
ضعيفة جدًّا
لدى عزَّة الألوهة.
٢٠ ذاك الشعاع الذي ظهر منه
هو كفوء له.
النور[٦] الذي ولدَ، هو يعرفه[٧].

(٤) هم الأنبياء والرسل. كما نقرأ في المقطع التالي. الثمرة (ܦܐܪܐ) هو يسوع المسيح. ترد الكلمة في مديح إليصابات لمريم: مبارك ثمرة بطنك (لو ١: ٤٢).

(٥) مز ١٩: ١: السماء تنطق بمجد الله، والفلك يخبر بعمل يديه.

(٦) الشعاع، النور، هو يسوع المسيح. قال: «أنا نور العالم» (يو ٩: ٥).

(٧) إذا كانت الخليقة تعرف خالقها، تحيط به، تضع له حدًّا وتخمًا، فهذا يعني أنَّها أكبر منه. الخليقة صغيرة حين نقابلها بمجد الله. وهي كبيرة بالنسبة إلى حبِّ الله. أترى الخالق أُجبر على أن يخلق ما هو أعظم منه؟ أهوَ الحسد فعل فعله، كما قالت بعض التقاليد القديمة؟ نترك الفلسفة ونعود إلى الكتب المقدَّسة، إلى الأنبياء والرسل. كما في قانون الإيمان. نعود إلى من هو نور من نور. وفي النهاية، الخليقة نفسها تكرز بخالقها. ماذا ننتظر لنسمع كرازتها!

النشيد الثاني والسبعون[١]

الإله الخفيّ

١ بدهشة عظيمة ضع حدًّا لنفسك،
أيُّها السامع،
واجمعْ فكرك من التبدُّد.
اللازمة: السبحُ للبكر!
٢ في الإيمان يُقرَّب إليك
أمّا في البصّ،
فأنت بعيد عن كلِّ معونة.
٣ الجدال الكبير لا يكفيه
لكي نمسَّه.
فهو أصفى جدًّا من الباصّين.
٤ بالإيمان تقوَّ لديه
وإن احتقرته تأتي إليه
حين تشتهي.
٥ واعرف هذا أيضًا:
ركضُك لا يكفي بدونه
ولا تقدر أن تعرف أنَّه الكائن.
٦ دومًا أبدًا إن أنت تجادل،
يُوهب لك ذلك فقط:
تقدر فقط أن تعرف أنَّه الكائن.

---

(١) القصيدة السابعة في اللحن نفسه.

٧ وبقدر ما يتعب ذاك الذي يتعب،
هو يعرف هذه الحقيقة
وخارجًا عنها ليس له أن يعرف.
٨ هو جليٌّ جدًّا لمن يطلبه،
وخفيٌّ جدًّا لمن يبصُّ فيه
فاصمتْ يا وقح!
٩ محجوب هو عنك وما كان في السماء
هو فوق هو تحت
ضائع عنك وموجود لديك.
١٠ من يفيه حقَّه في الحالتين!
هو محجوب عنك يا من تبصُّ
وموجود لديك، يا من تسجد.
١١ جليّ في طيبته، خفيٌّ في كينونته
بدل عظمته، أطلب طيبته
فتوجَد لديك.
١٢ كنزُه مفتوح، أقنومه محجوب
هذا من أجلك.
وبدلاً من أن تتعقّبه، أطلب عونه.
١٣ حنانه العظيم يدعوك،
أيّها التعيس،
لتعرف كنزه المليء بالمراحم.
١٤ عزّته العظيمة لا تتركك(٢)
أن تبصّ وتراه كما تشاء:

(٢) ܚܣܡ، كما في . في : ܣܦܩ: كفى.

كيف هو وكم هو[٣]؟

١٥ وإن تجاسرت وتقدَّمت إليه،
فكيف تتقدَّم
ممّن تقدَّم من الجميع ولا أحد يتقدَّم إليه.

١٦ لا مكان لكي تعبر منه
أنت منه إلى هنا
ومنه إلى هناك، لا وجود لشيء.

١٧ وليس فقط إمكانيّة العبور
منه إلى هناك
بل لا إمكانيّة الوصول.

١٨ ليس لك أن تتقدَّم، ولا أن تعبر[٤]
ولا أن تبلغ ولا أن تبقى
دهشة في كلِّ شيء.

١٩ وإن كنت كفوءًا لتبلغ إلى الكلّ
هو يأتي إلى لقائك
ولا يبتعد من حيث هو.

٢٠ صغير جدًّا وقصير باعُك،
بعيد منك ولك ملازم
فكيف تبصُّ فيه.

٢١ ما هو كالنار
إذ هي بعيدة، هي جدُّ قريبة
والجسم أضعف من أن يقترب منها.

---

(٣) نلاحظ هنا المقولات الفلسفيّة على مستوى النوعيَّة والكمّيَّة، فيصبح الإله شيئًا من الأشياء.

(٤) هذا ما يجعلنا في إطار مز ١٣٩: ٢: عرفت قعودي وقيامي...

٢٢ ما هو كالشمس.
إذا لا تمنعُ العينَ شدَّتُها،
فهي توبَّخُ في ضعفها.
٢٣ اختلط الربُّ مع مقتنياته
في الابتعاد وفي الاقتراب
فإن هي طلبته حملها.
٢٤ هي ترنو إليه وكأنَّه بعيد
في مسافة كبيرة
ساعة تُوضَع كما في قبضته.
٢٥ الوعاء الوسيع
لا يكفي البحر العظيم،
ليكيِّله كم هو.
٢٦ البحر نقطة
تجاه عظمته.
لا تسقطْ فيه لئلاّ تتيه فيه(٥).

(٥) بين الإيمان والبحث. فمعرفة الجوهر الإلهيّ لم تُعطَ للبشر. لأنَّ الله خفيٌّ على مستوى الكينونة والوجود، ولكنَّه جليٌّ على مستوى الحبّ، على مستوى الطيبة (ܛܝܒܘܬܐ، تترجَم عادة: نعمة). وتأتي النقيضة: الله هو البعيد والقريب معًا. وجاء رمز النار والشمس ليصل بنا الشاعر إلى البحر الإلهيّ، حيث بحرُنا نقطة فيه.

النشيد الثالث والسبعون[١]

الشمس رمز إلى الثالوث

١ ها هي التشابيه:
الشمس والآب، الدنح والابن
والحرارة والروح القدس.
اللازمة: مبارك مرسلك!
٢ وإذ يكون الثالوث واحدًا
فهو يُرى ولا يُدرَك
من يفسِّر.
٣ الواحد كثرة، الواحد ثلاثة
والثلاثة واحد.
تيهانٌ عظيم، دهشة جليّة.
٤ الشمس مفصولة عن شعاعها
ومختلطة معه
فشعاعها شمسٌ أيضًا.
٥ لا يقول إنسان: هناك شمسان
مع أنَّ الشعاع شمس هو
على التحتيّين.
٦ ونحن لا نقول إلهين اثنين
مع أنَّ ربَّنا هو الله أيضًا
على البرايا.

(١) القصيدة الثامنة في المجموعة، مع اللحن الواحد.

٧ من يصُّ؟ كيف وأين؟
أُسر الشعاع،
والحماوة أُسرت وحُلَّت.

٨ ليسوا منقطعين ولا ممتزجين[٢]
هم منفصلون ومخلوطون، أسرى وأحرار
يا للدهشة العظيمة!

٩ من يقدر أن يجسَّهم، أن يمسَّهم؟
مع أنّنا حسبناهم بسيطين
وحسبناهم سهلين.

١٠ جُسَّ لي الشمس، إنطلقْ من شعاعها.
تُرصدْها وانظر حماوتُها
إن استطعت.

١١ ميِّز لي الشمس من شعاعها
ومن يدي الاثنين حماوتها
إن تمكَّنتَ.

١٢ وإذ هي الشمس لدى العلويّين
حموُّها[٣] ودنحُها لدى التحتيّين
يا للسرِّ الجليّ!

١٣ نزل شعاعها إلى الأرض،
حلَّ في العين فلبسَته

---

(٢) استعملنا صيغة الجمع، مع أنّنا أمام ثلاثة أشياء، هي الشمس والشعاع والحماوة. ففي خلفيّة فكرنا، هي معرفة الثالوث في الأقانيم الثلاثة.

(٣) كذا في B (ܚܡܝܡܘܬܗ). في A: ܚܘܒܗ: حبّه. حافظنا على كلمة «الدنح» (ܕܢܚܐ) التي تعني ظهور الشمس وشروقها.

كما الجسد.

١٤ وحين تُغمض العين بواسطة النوم
تشلَحُ هذا اللباس مثل ميت
ينبعث أيضًا من الموت.

١٥ وكيف النور يتسرَّب في العين؟
هذا ما لا يدركه إنسان
كذلك مخلِّصنا الذي حلَّ في الحشا.

١٦ من داخل العين،
لبس النور مرأى جميلاً
وخرج فزار كلَّ البرايا.

١٧ مثل مخلِّصنا،
الذي لبس هذا الجسد الضعيف
فخرج وحلَّ(٤) في الخليقة كلِّها.

١٨ حين ينطلق هذا الشعاع إلى ينبوعه،
لا ينفصل
عن والده.

١٩ ترك هنا حماوته
كالروح القدس
الذي تركه ربُّنا لدى التلاميذ.

٢٠ أنظر الأشباه في المخلوقات
ولا تكن مرتابًا في الأقانيم الثلاثة
لئلاّ أنت تبيد.

(٤) هو تصحيح مقترح. بدل «ܫܕܗ» (رمى) جعل الناشر: ܫܪܐ: حلَّ، حرَّر. هذا مع العلم أنَّ المقطع الصوتيّ يتبلبل. لهذا يمكن أن نترجم: رماه لكلِّ الخليقة.

٢١ كان هذا هنا صعبًا لك
فبيَّنتُ لك الواحد الذي هو ثلاثة،
ثالوث وكينونة واحدة[٥].

(٥) الشمس مع نورها (إشعاعها، دنحها) وحماوتها، صورة عن الثالوث، حيث الابن هو الدنح، والروح هو الحماوة. وهكذا شرح أفرام كيف يكون الواحد ثلاثة، والثلاثة واحدًا: الإله الواحد في ثلاثة أقانيم. فالشعاع هو الشمس ولا نقول بوجود شمسين. والابن هو الله دون أن نقول بوجود إلهين. وكما شعاع الشمس يدخل إلى مكان، كذلك دخل الابن في حشا مريم، كما النور في الأجسام وكذلك سيخرج منها وسيحلُّ في الخليقة كلِّها.

النشيد الرابع والسبعون(١)

حرارة الشمس صورة عن الروح(٢)

١ من يكفئني
لأتطلّع وأنظر فيك أيّها النيِّر(٣)
فيك تتوفَّر أسرار ربِّك.

اللازمة: مبارك والدك!

٢ من يبصُّ في حماوته:
هو ينقسم ولا ينقطع
مثل الروح القدس.

٣ حلَّت عزَّةُ حماوته
على كلِّ شيء
لدى الكلِّ كلّها ولدى الواحد كلّها.

٤ لا تنقطع عن الشعاع
الذي اختلطت به

---

(١) القصيدة التاسعة في مجموعة ذات لحن واحد. ولكن لا نجد الرقم قبل هذه القصيدة. مع القصيدة العاشرة نقرأ «ي» (١٠).

(٢) في النشيد السابق، شُبِّهت الشمس بالثالوث: أقنومها، شعاعها، حماوتها أو حرارتها. نتذكَّر أنَّ الروح حلَّ بشكل «ألسنة ناريّة» على التلاميذ (أع ٢ : ٣). تحدَّث أفرام عن الروح القدس، فالتقى من دون أن يدري بأشخاص مثل باسيليوس الكبير، الذين هيَّأوا الطريق لما سيعلنه المجمع المسكونيُّ الثاني الذي انعقد في القسطنطينيّة سنة ٣٨١، فأضاف الإيمان بالروح القدس، في خطِّ مجمع نيقية (٣٢٥) الذي قدَّم لنا الإيمان حول شخص المسيح الذي هو إله وإنسان.

(٣) ܢܗܝܪܐ. ويعني اللفظ أيضًا الشمس. وهكذا نكون في امتداد النشيد السابق وكلامِه عن الشمس.

ولا عن الشمس التي مُزجت بها.

٥ وإذ هي تنتشر على البرايا
أخذ الواحد بعد الواحد قوَّة حموِّها
كما استطاع.

٦ به تسخِّن عريها
حين تلبسه
على مثال آدم الذي عُرِّي.

٧ هي محبوبة لكلِّ العراة[٤]
فترسلهم كأناس مجدّين
إلى كلِّ الأعمال.

٨ الروح ألبس الرسل
وأرسلهم إلى الأقطار الأربعة
من أجل الأعمال.

٩ بالحماوة ينضج كلُّ شيء
كما بالروح القدس يتقدَّس الجميع
يا للرمز الجليّ!

١٠ بها يُغلب القرُّ والبرد
في داخل الجسم
كما النجاسة بيد الروح القدس.

١١ بها تحلُّ الأصابع
التي أسرها البرد القارس
كما أسر الشرِّيرُ النفوس.

---

(٤) الجدال عينه «ܫܠܚ» يعني شلَح، تعرّى، ويعني أرسل. من هنا «ܫܠܝܚܐ»: هم السلّيحون أو الرسل. هم مضوا «عراة»، لا يملكون شيئًا. هذا ما يشير إليه البيت التالي.

١٢ بها رقص عجول[٥] نيسان
مثل التلاميذ
بالروح القدس الذي حلَّ فيهم.

١٣ بالحماوة أيضًا
تُقطَع لجُمُ الشتاء
التي منعت الثمار والورق.

١٤ بالروح القدس أيضًا
تُقطَع لجم الشرِّ
الذي منع كلَّ المساعدات.

١٥ الحماوة
توقظ أرحام الأرض الساكنة
مثل الروح القدس للبيعة المقدَّسة.

١٦ والإنسان الضعيف
كم يتيه، كم يبصُّ
في الكنز العظيم الذي لا حدَّ له.

١٧ وكم يتيه في الأقطار الأربعة
لكي يمتدَّ مع كلِّ موجود،
هو جدٌّ صغير[٦].

١٨ الحموُّ يحلُّ اللجام البغيض،
والقرُّ البارد
الصمتَ القارس على الشفاه.

---

(٥) نيسان هو بداية الربيع، وشهر العشب الذي تنتظره الحيوانات.

(٦) حرفيًّا: الأقطار الأربعة صغيرة له (ܙܥܘܪܝܢ ܠܗ). النصُّ هو هو في كافَّة المخطوطات. ومع ذلك، ليست الأقطار صغيرة له، بل هو صغير بالنسبة إليها.

١٩ روى الفم واللسان أيضًا
مثل ألسنة النار[٧]
التي حلَّت على التلاميذ.

٢٠ الروح القدس، بحماوة،
طرد الصمت، بواسطة الألسن[٨]،
من التلاميذ.

٢١ الصمت البغيض والبارد أيضًا
أرعبهم كما الشتاء،
فمنعهم عن الكلام.

٢٢ هذا الشعب[٩] هو علامة الشتاء
ورمز البرد القارس
والمعتِّم كلُّه على التلاميذ.

٢٣ بواسطة الألسنة الناريّة التي أتت
حلَّ الروح القدس
عزَّة[١٠] البرد.

٢٤ وطرد الخوفَ من التلاميذ
وعرف الصمت من الألسنة
بواسطة الألسنة.

٢٥ قُهر الشيطانُ مثل الشتاء
والشعبُ الغضوب
الذي اسودَّ كلُّه مثل شهر شباط.

(٧) كذا في B (ܕܢܘܪܐ). في A: ܕܪܘܚܐ: الروح.
(٨) ألسنة من نار، أع ٢: ٣.
(٩) أي الشعب العبرانيّ، تجاه الشعوب الآتية من الأمم.
(١٠) في BC: ܚܣܘܢܐ. أما في A فنقرأ: ܚܣܢܐ: لهجة.

٢٦ وتكلَّمُ هناك
عصافير السماء بصوت جديد
واحتقروا العُقاب والشتاء.
٢٧ هذا ما فعلته الحماوة
وهذه كمَّلها الروح القدس،
من يفيها[١١].

(١١) ماذا تفعل حماوة الشمس، وماذا تفعل حماوة الروح؟ لا يحتاج الناس بعدُ إلى اللباس. والرسل مضوا «ولا شيء معهم» بحماوة الروح القدس. بالحماوة تنضج الثمار، وبالروح يتقدَّس المؤمنون. يمضي الشتاء بعيدًا، مع شهر شباط القارس، ويأتي الربيع، يأتي نيسان فتفرح العجول في الحقول.

النشيد الخامس والسبعون[١]

الشمس وولادة الابن

١ الشمس سراجك
ها هي تدهشك، أيُّها التعيس
ولا تعرف كيف تبصُّ فيها.
اللازمة: لك التسبحة[٢]!
٢ وكيف تبصُّ في ذلك الخالق،
كأنَّه إنسان!
إعرف أنَّك إنسان، يا إنسان.
٣ دِقَّةُ هذا النيِّر[٣]
لا يمكن جسُّها
مع أنَّها ظاهرة لماسكيها.
٤ حماوة ذلك الشعاع
لا يمكن أن يراها البصر
فهي نقيّة.
٥ تغلب العيون بحماوتها،
وبصغرها الأيدي:
لا تجسُّ ولا تنظر.

---

(١) القصيدة العاشرة (ي) في مجموعة القصائد ١٣ التي تنتهي مع النشيد ٧٨. واللحن هو هو.
(٢) كما في A في B: السبحُ للخفيّ.
(٣) أي الشمس، موضوع هذه القصائد.

٦ الفم والأذن والمنخار أيضًا
ثلاث حواسّ
لا تشعر بالشمس المثلّثة.
٧ فالفم ما أكل يومًا
هذا النيِّر،
ولا المنخار شمَّ النور[٤].
٨ ولا الأذن سمعت يومًا
صوت النور
وهو يركض على البرايا.
٩ وإن كانت باطلة
هذه الحواسُّ الثلاث
لدى هذه الشمس الصغيرة التي في الرقيع.
١٠ فلو كان جسمك كلُّه حواسًّا
فهو لا يفي الإله
الخفيّ عن الجميع.
١١ ها يُطلَب حواسٌّ ثلاث
لدى أسرار ثلاثة
هي داخل الشمس.
١٢ هم يهتفون[٥]
أنَّهم غرباء
عن تعقُّب الآب والابن والروح القدس.

---

(٤) كما في BC (ܪܝܚܐ). في A: ܕܪܝܚܐ (الرائحة).
(٥) جعلنا الفعل في صيغة الجمع وكأنَّ الحواسَّ أشخاص بشريُّون.

١٣ علِّق المياه قبالة الشمس
وانظر هناك
شبه ولادة ذلك القدّوس.
١٤ لا بقطعٍ ولا بجريٍ
تلد النارُ
مولودًا زاهيًا مثل والده.
١٥ لا بقطعٍ من عند الشمس
ولا بضَررٍ من داخل المياه.
يا للسرِّ العظيم!
١٦ المياه بقيت سالمة والشمس
كذلك المولود
الذي يرى فيه الإنسانُ ولادة الابن.
١٧ بالأمور البسيطة[٦] صوَّر الصعبة
من أجل ضعفنا
لكي نعرف بسهولة أنَّه الابن.
١٨ بكلِّ التشابيه
تَقرَّب ذلك العذبُ
من مرضنا لكي يؤاسيه.
١٩ وإن هو الربُّ والله أيضًا
لا يقترب من الإنسان
بدون التشابيه[٧].

---

(٦) **فمحا**: البسيط. الإنجيل هو البساطة. وكذلك الرسل. ثمَّ «**فمحا**»، ما يفسِّر، ما هو سهل على الفهم. فلماذا نعقِّد الأمور ونجعلها صعبة في أذهان السامعين. هنا نتذكَّر أنَّ أفرام كان شمَّاسًا في الرعيّة ومن مهمَّاته تعليم الجماعة.

(٧) رج مت ١٣: ٣٤: ما كان يكلِّمهم إلاّ بالأمثال.

٢٠ فالإنسان ضعيف هو
ليطلب الوسائل لضعفه،
لدى الإله العظيم.
٢١ لا تتهاونْ أيُّها الوجدان
أتقنْ جسور الروح
واعبر لدى باريك.
٢٢ يا ابن العبد،
اصنع لك أجنحة هي الكتب المقدَّسة
هكذا تبلغ إلى ابن ربِّك.
٢٣ والنفس أيضًا
تتوسَّل كلَّ الوسائل
فتبلغ إلى الروح القدس.
٢٤ وأنت أيُّها الجسد،
لا تترلغَ، بل طِرْ كالنسر
لدى الجسد الذي يُحيي الجميع.
٢٥ حواسُّ الإنسان
أضعف من تعقُّب الإله.
فلا تزلّ!
٢٦ حواسُّ أبناء السماء
صغيرة هي وروحيّة
وهي غير وافية.
٢٧ فهدِّئ من التعقُّب
حواسَّ غليظة في جسد عبيّ

امتلأت[٨] ترهُّلاً.
٢٨ نترك هذه الصافيات.
فأخبرنا
عن نجاسات الشرِّير النجس.
٢٩ لتخبرنا حواسُّ جسدك
على الحواسِّ الروحيّة
لدى زمرة الشياطين.
٣٠ بأيِّ منخار تنشَّق لجيون[٩]
وبأيِّ أرجل ركض الشرِّير
في الخليقة كلِّها.[١٠]

(٨) ܕܡܠܝܢ كذا في B الذي أضاف اللفظ على «ܕܪܕܝܢ» التي تجري.
(٩) مر ٥: ٩. اسم الرجل الذي أقام فيه جيش من الشياطين.
(١٠) ما زلنا في موضوع الشمس الذي هو، بنقاوته، رمز إلى الثالوث. تجاه الحواس الخمس، وحرارة الشمس في المياه، تشبه ولادة الإبن. ثمَّ كان الروح والنفس والجسد مشيرين إلى الآب والإبن والروح القدس. وفي النهاية، ينبِّه أفرام المؤمنين من إبليس الذي جرَّ لجيون ويمكن أن يجرَّ الضالّين من حقيقة الله.

النشيد السادس والسبعون[١]

الشجرة والثمرة، الآب والابن

١ باسم الأشجار
تُكنّى أثمارُها
سواء كانت حلوة أو مرّة.
اللازمة: مبارك أنت في أبيك!
٢ تتوافق أسماءُ الأشجار
مع ثمارها،
تتميَّز وتتوافق، يا للسرِّ العظيم!
٣ تتميَّز الثمرة عن شجرتها
وتتوافق معها
فكنيةٌ واحدة جُعلت للاثنين.
٤ حلوٌ هو الجذر، حلوةٌ هي الثمرة
باسم متوافق ادعُ الاثنين
هو وثمرته.
٥ ميِّز اسمَيْ الساق وثمره
ووافق أيضًا بينهما
وادعُ الثمرة باسم شجرتها.
٦ إذا الساق حلو
ندعو ثمرته[٢] أيضًا حلوة

(١) القصيدة الحادية عشرة (يا) في مجموعة القصائد ذات اللحن الواحد.

(٢) ܚܠܝܐ، (مع الضمير) كما في B، في توازٍ مع «ܚܠܝܐ» (جذره). في A، هو الاسم بدون الضمير (ܚܠܝܐ).

وجذره أيضًا مع أنَّه شديد.
٧ ميِّزْ اسمَي الآب والإبن
وساوِ أيضًا بينهما:
الآب هو الله والابن هو الله.
٨ الله هو اسم الآب
الله أيضًا هو اسم الابن
كما هو مكتوب.
٩ تميَّزَ بالاسم لأنَّه الابن
وتساوى بالاسم لأنَّه الله
السبحُ لاسمه!
١٠ الأشجار حقيقيّة هي
وثمارها أيضًا
فكم بالأحرى الآب حقيقيّ والابن!
١١ صوَّر الخفايا على الجلايا
لكي يبيِّن ما لا يُرى
بما يُرى.
١٢ ورسم أسراره على الأشجار
ليفسِّر لنا ما لا يُدرَك
بما يُدرَك.
١٣ وترجم لنا
الأمور الصعبة بالأمور السهلة
لكي نفهم بسهولة.
١٤ وفسَّر لنا
الأمور الصعبة بالأمور البسيطة
لكي نعرف ببساطةٍ أنَّه الابن.

١٥ فربُّنا هو الله أيضًا
هذا ما أدرك الأبرار
أمّا الكفّار فما آمنوا به ولا بأبيه.

١٦ هتفت الكتب:
الآب هو الله، الابن هو الله
والشعب الذي أنكر هذا كان بلا إله(٣).

(٣) الشجرة، الجذع، الثمرة، الساق. انطلق أفرام ممّا يسهّل فهمه على المؤمنين، فوصل إلى الآب والابن. توافقٌ ومساواة بين عناصر الشجرة. وكذلك مساواة بين الآب والابن. الآب الله والابن الله. والتمييز الوحيد بين الاثنين هو أنّ الآب آب، والابن ابن. الآب يتميَّز بالأبوَّة، والابن بالبنوَّة. ومن أنكر الابن كان بلا إله. اليهود أوَّلاً، ثمَّ الأريوسيُّون.

النشيد السابع والسبعون[١]

المعرفة لدى الابن[٢]

١ «هذه الساعة لا يعرفها»
جعلها الصبيان مع الابن
وكم كبَّروها!

اللازمة: مبارك معرفتك!

٢ إن عرف البكر الآب
فمن هو أكبر من الآب
بحيث لا يعرفه!

٣ «هذه الساعة ما عرفها إنسان»
ولا البكر أيضًا
لأنَّ الآب وحده عرفها.

٤ وإن كان ما عرفها، كما فكَّروا،
لأنَّه خليقة،
فها قد تجاوزوه بتعقُّباتهم.

٥ تعالوا نندهش:
إن كان ربُّنا «لا يعرف تلك الساعة»
لأنَّه خليقة.

---

(١) القصيدة الثانية عشرة (يب)، وما قبل الأخيرة في هذه المجموعة ذات اللحن الواحد.

(٢) نقطة الانطلاق: تفسير الأريوسيّين لما ورد في مر ١٣: ٣٢: «ذلك اليوم وتلك الساعة لا يعرفهما أحد، ولا الابن، إلاّ الآب». إذا كانت معرفة الابن ناقصة بالنسبة إلى معرفة الآب، فهذا يعني أنَّ الأقنومين لا يتساويان، فصار الابن أدنى من الآب. وبما أنَّ الله واحد تجاه الخليقة، صار الابن خليقة بين الخلائق، مهما سما مقامُه.

٦ فهؤلاء المخلوقون بيده
تجرَّأوا فبصّوا،
لا بالساعة، بل بربِّ الساعات.

٧ ليقوموا على كلامهم
كلُّ خليقة تحفظ الصمت
تجاه خالقها.

٨ في هذه المعرفة التي بها عرف أباه
حُبست(٣) تلك الساعة أيضًا
داخل معرفته.

٩ فإن وهب له أن يرى مجده(٤)
وأخفى عنه ساعة زمنيّة
أيكون أعظم منه!

١٠ أوقف الساعة التي لا يعرف
لدى الآب الذي يعرف(٥)
وازنْ وانظر أيَّهما أفضل.

١١ الابن الذي وحده يعرف الآب،
أيعرفه كلَّه؟ أيعرف جزءًا منه؟
إذًا لا نقص فيه!

١٢ ولأنَّ هذا الجذرَ الحقيقيّ
يعرفه حقًّا
الثمرُ(٦) الذي وَلد.

---

(٣) كما في A (ܐܬܚܒܫ) ونقول: حُسبت (كما في B): ܐܬܚܫܒ.
(٤) يو ٧: ٢٢: أعطيتهم المجدَ الذي أعطيتني.
(٥) مت ١١: ٢٧: لا يعرف الآب إلاّ الإبن.
(٦) كما في BC: ܦܐܪܐ (بدون لام المفعول). لا كما في A لام المفعول: ܠܦܐܪܐ.

١٣ فأيُّ ثمر
يعرف أقلَّ من جذره
الذي مزج كلَّه فيه كلِّه
١٤ فإن بقي في معرفته،
أقلّ من شجرته
بقي أيضًا في اسمه وكأنَّه ليس ثمره.
١٥ وإن توافق الثمر باسمه
مع جذره،
توافق أيضًا بالمعرفة.
١٦ واحدة هي الحلاوة التي بين الاثنين
واحدة هي المعرفة التي بين الاثنين(٧)
فالاثنان مُزجا.
١٧ مُزج الثمرُ بشجرته
وداخل الثمرة جذرُها
فمن يفصل.
١٨ هما لا ينقسمان في الحلاوة،
هما لا ينقسمان في المعرفة،
والحقُّ(٨) سلم.
١٩ حبُّ الثمر في جذره
وفي الثمر حبُّ شجرته
فمن نفصل!
٢٠ أسماء الآب والابن والروح،
متساوية هي ومتوافقة

(٧) كما الحلاوة بين الثمر والشجرة، كذلك المعرفة بين الآب والابن.
(٨) كذا في A (ܫܘܫܠܐ). قرأ الناشر مع BC: ܕܫܘܫܠܐ، وترجم معرفة الحقيقة التامّة.

في رفرفة المعموديّة.

٢١ أسماء متوافقة، سعيٌ متساوٍ
وإرادة واحدة
حملوا «نيرًا» واحدًا وأتوا.

٢٢ بما أنَّهم تساووا
في رفرفة المعموديّة
هكذا تساووا أيضًا في التوافق.

٢٣ تنازل الثمرُ (الابن) ولبس جسدًا
ولبس معه الأسماء الضعيفة،
أسماء بني جنسه.

٢٤ لبس ناسوتنا.
وأضاف فلبس أيضًا معرفتنا،
من أجلنا.

٢٥ عارف الكلِّ صار لاعارفًا
سأل وسمع
مثل الإنسان من أجل الإنسان.

٢٦ وإن بصَّ الضعفاء في جوهره
ألا يكون الابن كفوءًا
لكي يحيط بالساعة؟

٢٧ أو يسكتون إن كان لا يعرف
وإن بصُّوا
فليعترفوا بالابن الذي يعرف كلَّ شيء.

٢٨ إن بصُّوا في ما لا يُسمَح به
كانت وقاحة
وإن سُمح لهم كانت موهبة.

٢٩ ذاك الذي وهب للتراب أن يتعقَّب
كيف يمنع ابنه
أن يعرف ساعةً زمنيّة.

٣٠ «هو لا يعرف الساعة»
علّةُ هذه المعرفة
هو الجسد الذي لبس(٨).

(٨) الابن لا يعرف الساعة! ولكن أيّه أعظم، أن يعرف الساعة أو يعرف الآب؟ وإن كان الابن لا يعرف الساعة لأنّه إنسان، فكيف يسمح الأريوسيّون لأنفسهم بأن يتعقّبوا ربَّ الساعات! الابن يعرف الآب، كما الثمرة تعرف الشجرة. هي الوحدة في الثالوث. ولكن حين لبس الابن (الثمر) جسدًا، أخذ الضعف واللامعرفة من أجلنا. والختام: كيف لا يعرف الابن الساعة؟ لأنّه لبس جسدًا.

النشيد الثامن والسبعون[١]

معرفة الساعة[٢]

١ لا تبصَّ أبدًا فتقول:
الابن لا يعرف الساعة.
فهو فقهها[٣].
اللازمة: مبارك من وهب الجميع الحكمة![٤]
٢ هذه الساعة في حساب الزمن،
عرفها
فبه تتركَّب كلٌّ الأعداد.
٣ إن هي من السنة، فقهها
فبه تتركَّب
شهور السنة كما الأعضاء في الجسد.
٤ إن هي من الشهر، عرفها
فبه تتركَّب
أيّام الشهر كما الشرايين في الجسم.
٥ وإن من الأيّام هي، لا تُفلت منه
فبه تتقسَّم

---

(١) القصيدة الثالثة عشرة (يج) والأخيرة في مجموعة اللحن الواحد.

(٢) يواصل هذا النشيد ما قيل في النشيد السابق، وقد كان بالإمكان أن نضع العنوان الواحد للنشيدين. ولكن قدَّمنا عنوانين اثنين. في المخطوط ، لا بداية جديدة، بل يتواصل النشيد ٧٧ مع النشيد ٧٨.

(٣) أي عرفها. ولكن استعملنا كلمة أخرى تجاه «**سحم**»: عرفها حقًّا، تحكَّم بها.

(٤) جاءت هذه اللازمة من BC، وغابت من A. «**سحم**»: عرف، وهب الحكمة.

الساعات والسبوت والأسابيع.
٦ وإن من الشمس هي، فقد عرفها
وهو من رَسَمَ
سبل الشتاء ودرجات الصيف.
٧ وإن هي من القمر، فقهها أيضًا،
فهو من صنعَ البدورَ أميالاً
مع رأس الشهور.
٨ إن كانت هي في العلى والعمق
فهي في قبضته
بإصبعه تتعلّق كلُّ البرايا.
٩ الساعة التي عرف
تشبه الروح القدس
فهو يعرفه وهو عظيم.
١٠ وما هي العلّة؟
خذ، فسِّر لنا:
كيف ولماذا خبَّأ الآب عنه ساعة تحركه.
١١ إن كان خبَّأ عنه من أجل ذلك،
يكون الابن أصغر منه،
فيفلت منه[٥] ويشبهه.
١٢ ضعيف جدًّا هذا التركيب
انظر كيف يكون حلُّها[٦]
في ساعة واحدة[٧].

---

(٥) نتذكَّر هنا ١كور ١٥: ٢٨ حيث الإبن يخضع للآب.
(٦) نقرأ A «ܫܪܝܗ» مع BC، لا «ܫܘܪܝܗ» مع البداية
(٧) كذا في A (ܚܕܐ). في BC: ܫܠܐ (بكلمة واحدة).

١٣ حين تتجلّى هذه الساعة،
ويدعو القرن ويكون التطواف،
عندئذٍ تنحلّ.

١٤ وقابلْه معه.
فاللامساواة تصير مساواة
بحسب كلمتهم.

١٥ واحدة من اثنتين:
إن كان بسببها صار صغيرًا لأنّه ما عرفها،
سيقابَل بها حين يدركها.

١٦ وإن لم يكبر حين يدركها[٨]
فأيّةُ فائدة
ها هو يعرفها وهو بعد صغير.

١٧ هذه الساعة،
حتّى الشيطان يقدر أن يعرفها
فحين تتجلّى يُدمَّر.

١٨ أهكذا كبيرة هي الساعة
فخبّأها عن حبيبه!
حتّى الشيطان استطاع أن يعرفها.

١٩ تعال واسمع
علّة مجد من هو ربّ الكون
هو أعظم من الجميع والجميع يرتبطون به.

٢٠ فعلّة مجد الله
هي لأجلنا

(٨) نقص السطر كلّه من A. فأُخذ من BC.

وطيبته إلى الأبد هي.

٢١ وعلّة مجده تجاه مولوده
هي أبوَّته
فهي من الأزل إلى الأبد.

٢٢ يا للعلل المقدَّسة!
تجاه البرايا وتجاه البكر
هي لا تُحلّ(٩).

٢٣ هي ساعة زمنيّة، وعلّة زمنيّة
وملء زمن هي(١٠).
ومع الزمن يعبر الزمن.

٢٤ عظيمة علَّةُ صنعه
فالصنيعة لا تقدر يومًا
أن تكون كبيرة مثل صانعها.

٢٥ عظيمة علّة أبوَّته
لا يقدر المولود يومًا
أن يكون الوالدَ أيضًا.

٢٦ نمضي ونطلب برهانًا آخر
لهذه الساعة
فالأولى قد فُسِّرت.

٢٧ جاء الدليل، اعترفْ واكتشف:
فمخلِّصنا يعرف أيضًا
تلك الساعة.

---

(٩) غابت العبارة «وتجاه البكر هي لا تحلّ» من A. فأخذناها من BC.

(١٠) غاب السطر من A. فأُخذ من BC.

(١١) ح ر ي ن ا. يتكلّم أفرام عن الأريوسيّين. هم يقفون في وجه الحقّ (كما في البيت التالي).

٢٨ همس لنا كما في السرّ
التحرّي[١١] ركّب قوله
لكي ينتصر به.
٢٩ غُلب التحرّي وانتصر الحقُّ
توقّف الجدال،
وأتى الإكليل لمن انتصر[١٢].

(١٢) أين تقع هذه الساعة؟ في السنة، في الشهر، في اليوم، في مدار الشمس، في مدار القمر، في العلوّ، في العمق؟ فالابن هو من رسم كلّ هذا، وبالتالي الساعة التي فيها. كيف تُخفى هذه الساعة، التي الشيطان نفسه يعرفها، عن الابن؟ وفي أيّ حال، أيّة فائدة أن نتكلّم عن الساعة، تجاه الكلام عن أبوّة الله، وعلاقة المولود بالوالد، والابن بالآب. إذا كان الأمر هكذا، تنقلب الأمور فنقول: مخلّصنا يعرف الساعة التي هي فترة من الزمن، لأنّه من الأزل إلى الأبد.

النشيد التاسع والسبعون(١)

الابن يعرف الآب(٢)

١ يا ابني، أيُّ مجد في أن تقابل
وأيُّ غبن حين تضع في الميزان:
«عرف الساعة» أو: «ما عرفها»
لهذا الآب الذي هو أعظم من المقابلة
بيَّن أنه لا يعرف وبيَّن أنّه لا يهمس
لكي يبصَّ في الساعة
منع بالساعة أن لا تسيء إليك الساعة
فلا تبصّ في ربٍّ كلِّ الساعات.

اللازمة: لك السبحُ أيُّها الابن المسيح،
يا من تعرف الجميع!

٢ في شخصك اعرف أنَّه عارف هو
فهو سبق وقيَّد معرفتك
فحرِّيَّتك هي أمَة سائبة
سَرقت، في الخمر، كنوز ربِّها

---

(١) اللحن: الله بمراحمه.

(٢) في هذه الأناشيد، توقَّف أفرام عند فعل «عرف» (ىـ). ونقطة الانطلاق اعتراض الأريوسيّين: ما عرف الابن الساعة التي يعرفها الآب. إذًا، هو أدنى من الآب. ولكن من عرف الآب، هل يصعب عليه أن يعرف الساعة؟ هنا نقرأ مت ١١: ٢٧: «أبي أعطاني كلَّ شيء. ما من أحد يعرف الابن إلاّ الآب، ولا أحد يعرف الآب إلاَّ الابن، ومن شاء الابن أن يظهره له». هي معرفة متبادلة بين الآب والابن. ثمَّ إن معرفتنا للآب ترتبط بالابن: هو يُظهر لنا. هو يخبرنا (يو ١: ١٨).

هيَّأ لها الربط، أعدَّ لها القيود
أحاطها بالسياجات، وطوَّقها بالأسوار
وإن كان هذا لا يحفظها،
فلتعرف من هذا أنَّها كَلِبة.
٣ عرف أنَّ القبائل والألسن،
واليونان الذين يهمسون في الخفيّات
استعدّوا لأن يأتي إلى تلمذته
فالمصيدة التي جمعت كلَّ الأجناس(٣)
خميرها(٤) اقتاد وأتى بالحمر الوحشيّة(٥) إلى تعليمه
ولئلاّ يتبلبلوا في مساعيهم
علَّمهم بنير الحقِّ الواحد
سعيًا واحدًا، سعي الوفاق.
٤ ما وهب مكانًا للسريع
أن يركض وحده وينفصل عن الآخرين
أن يحلَّ نفسه من نير الإيمان
الكتبة والجهّال، المحتالون والودعاء
عليهم كلِّهم نير المساواة الواحد
بيَّن نيرَ المركبة
التي فيها يقتني المنفصلون الوفاق.

---

(٣) مت ١٣ : ٤٧ : الشبكة التي جمعت الأخيار والأردياء.

(٤) ܚܡܝܪܗ، كما BC، لا «ܚܡܪܗ» (خمره) كما في A. رج مت ١٣ : ٣٣ والخمير الذي جُعل في ثلاثة أكيال من الدقيق.

(٥) ܥܕܪ̈ܐ (المساعدات) كما في A. أمّا نحن فاتَّبعنا B مع «ܥܪ̈ܕܐ»، الحمار الوحشيّ. رج تك ١٦ : ١٢ والكلام عن اسماعيل الذي هو جدُّ العرب. وصل التعليم إلى اليونان وإلى العرب. رج أع ٢ : ١١ : كريتيون (أو يونان) وعرب.

٥ أن نأكل ونشرب، أن ننام ونقوم،
فهذه سلطات الحرّيّة الفالتة
حتّى البهائم اقتنوا[٦] الحرّيّة
كما يريدون وبقدر ما يريدون
لاسلطة لأحد عليهم تحت النير.
فالحبُّ لبسَهم والحقيقة نطَّقتهم
لا يميلون بأحد ولا أحد يميل بهم
لأنَّه يستمعون إلى إرادة مدبِّرهم.

٦ حيث لا تكون الحرّيّة
يكون هناك طغمة الحيوانات
فكيف يُوجَد داخلَ بيت إنسان
أداة تحرِّك نفسه
فمن أُسِر بواسطة الحقّ، وحُلَّ في التدابير
وعبر في تبدُّلات الخير
من درجة الحقيقة
شرع ينحدر إلى الضلال.

٧ سواء سهر الإنسان أو نام.
فحين ينام يُحفَظ أجرُ سهره
سواء صام أو أكل في وقته،
لا يبد إبادةً صومَه إن هو أكل
فالطعام والصوم اثنان نقيّان، جميلان
والحقيقة هي واحدة، وجارها الضلال
فإن زلقت، كالشعاع، بعيدًا عنها قليلاً

(٦) جعلنا صيغة الجمع، مع أنَّ الكلام يدور على البهائم.

مثل الهوّة يكون هذا القليل.
٨ الإرادات متميِّزة في المجموعة الواحدة
ولا تُلام أبدًا لأنَّها متميِّزة
بل تُلام في أمر واحد: إذا انقسمت.
إذا تمرَّدت على نير الإيمان
فالبهائم نفسها تتساوى تحت نير واحد
عنها كتب داود:
«الإنسان شابه الحيوانات»(٧)
يا للدهشة! فهو لا يشبهها أبدًا!
٩ ما مساعي البلبلة في المجموعات
والإرادات الصلفة في الأديرة
وتساؤلات الانقسام في البيع
وفي الكنائس الضمائر المريضة
لهذا، لمن الويل؟ الغضب في البحر
والتحرُّك على الأرض اليابسة:
بصّوا في الباري الذي بيده صُنعوا
وإذ بصُّوا فيه وضعوا البلبلة في الخليقة(٨).
١٠ ها قد ثُبتت مثل مرآة
للتعليم، بين الربِّ وعبيده
فتبرهن الخليقة وأجزاؤها
أنَّها لا تقدر أن تختبئ عن خالقها
حين مضوا ليبصُّوا رأوا اتِّضاعه

(٧) مز ٤٩: ١٣: هو مثل البهائم التي تهلك.

(٨) في A: ܐܬܒܠܒܠܘ (هم) ܒܒܪܝܬܐ (المفرد، في الخليقة). في B مع C مصحَّحة: ܐܬܒܠܒܠܝ (المؤنَّث الجمع) ܒܪ̈ܝܬܐ (الجمع): تبلبلت البرايا.

ساعة صوَّروا ليخجلوا قليلاً
في شبهه المتواضع(٩)
يُزجَرون فلا يصُّون في ولادته العزيزة.

١١ انظر فيها بعين الفكر،
أنظر في الخلائق كلِّها، في كلِّ شيء
هي مركَّبة بيد متقن الكلِّ كالجسم
هو لا يقدر أن يختبئ عن خالقه
فكيف يقدر الصنم(١٠)، حين تصوَّر، يا إخوتي،
أن يُخبئ أعضاءه عن مهندسه
وهذه الساعة لا تقدر أن تتخفّى
عن حكمة باريها.

١٢ أنظروا في الأجزاء، يا إخوتي
بها عارف الكلِّ ركَّب الجسم
أفكاره على نمط أعضائه
والأوقات والأزمنة مثل المفاصل
الساعات مثل صوَره(١١)، السنون مثل تشابيهه
وهذه الساعة الخفيّة على نمط فكره،
ومثل باقي أعضائه
أشهُره وسبوتُه وأيّامه.

١٣ مَن(١٢) لا يتيه أو يجنّ(١٣)

---

(٩) «ܒܛܘܦܣܗ» كما في BC؛ tupos: الشبه، النمط. لا كما في A: «ܒܛܘܦܣܗ» في طوفه.

(١٠) ܨܠܡܐ (صنم في العربيّة) والفعل يرتبط بالجذر «ܨܘܪ».

(١١) ܨܘܪܬܗ (مع الضمير) في موازاة مع «ܘܦܬܟܬܗ» (مع الضمير). كذا في BC. أمّا في A، فلا وجود للضمير: الصوَر (ܨܘܪܬܐ).

(١٢) كذا في BC: ܐܝܢܘ. في A: ܐܘ، في موازاة مع الفعل الثاني: أو نتيه أو نجنّ.

(١٣) كذا في C (ܢܬܥܠܐ). في B: ܢܬܥܠܠ: نتعالى. أمّا في A فنقرأ: ܢܬܥܠ ܒܗ: نلعب.

فيُبيدُ فكرَه
ويشبه السكارى الذين أبادوا معرفتهم
حتّى الآن ظنَّ الجاهل
أنَّ الصورة(١٤) التي زيَّنها آبُ الحقِّ
بإصبع حبيبه،
تتوسَّل تلك الساعة المجيدة(١٥)
لتختبئ عن إصبع من صوَّر الجميع.

١٤ ساعة ما كان كوَّن(١٦) بعد معرفة الإنسان،
ما كانت ضلَّت المعرفة السابقة
فهيَّأ لها مكانًا فيه تُتقَن
حين تأتي من الخفاء إلى الجلاء
ساعة لم تكن موجودة، كانت لربِّها موجودة
الآن وقد حُفظت في كنز معرفته
وإن كان خفيًّا في جذره
لا يكون خفيًّا في الثمر الذي في حضنه(١٧).

---

(١٤) رج تك ١: ٢٦: على صورة (ܒܨܠܡܐ) الله.

(١٥) ܡܫܒܚܬܐ كما في B وفي C مصحَّحة. في : ܡܫܒܚܐ: فكر.

(١٦) هو كلام عن الله الآب. إنَّه الخفيّ الذي صار جليًّا بواسطة ثمرته، بواسطة الابن.

(١٧) الابن يعرف الآب. ألا يعرف الساعة؟ والأريوسيّ مهدَّد إن قام بالمقابلات إذا كان الله جعل المعرفة في الإنسان، أتراه لا يمتلك تلك المعرفة؟ بل هو عرَّف البشريَّة كلَّها بالإنجيل، من الشرق (العرب) إلى الغرب (اليونان). هو نير الإيمان الذي تحدَّث عنه يسوع فقال إنَّه خفيف (مت ١١: ٢٩-٣٠). هي صورة مأخوذة من عالم الفلاحة، حيث يُضمُّ الثور إلى الثور ويفلحان. فإن مضى كلُّ واحد في طريقه، خرُب العمل. الحيوانات تسير معًا، تحت نير واحد. ولكنَّ الإنسان! حرِّيَّته تدفعه والاختلاف بين إرادة وإرادة، وقرار وقرار، يبقى مفيدًا شرط أن لا يؤدّي إلى الانقسام، فنشابه البهائم في إطار العنف. وعاد أفرام إلى المقابلة بين الجسم من جهة، وبين الأوقات... من جهة أخرى. هي حالة الإنسان بعد الخطيئة. ولكن قبل الخلق، لم يكن هناك من ضلال.

النشيد الثمانون[١]

الإيمان والأعمال

١ اسألوا واسمعوا وتميَّزوا:
الإيمان هو نفس ثانية
وكما الجسدُ يقوم بالنفس
فالحياة أيضًا تتعلَّق بالنفس
بواسطة الإيمان.
وإن هي كفرت أو انقسمت صارت جثَّة ميتة.

اللازمة: في زمن الجهاد، يرقص المقاتلون
ها هي المناسبة لنأخذ ثمر الانتصار.

٢ هذا الجسد المائت
يتعلَّق بالنفس
والنفس تتعلَّق بالإيمان
والإيمان يتعلَّق بالألوهة
من الآب يجري في الابن
الحقُّ الذي يُحيي الجميع بروحه.

٣ بهذه الحقيقة
يستطيع الإنسان أن يأسر نفسه مع العلويّين
بالنفس يحيا.
وبواسطة الجسد يرى ويسمع

---

(١) اللحن عينه كما في A. أمّا في BC (وهذا الأصحّ): الطبيعة كلُّها أنشدتك.

بالإيمان والحبِّ والحكمة
يمتزج أيضًا بالإله ويُصوَّر بصورته[٢].

٤ لا يُحَلُّ هذا المركَّب العجيب،
ولا يُفرَغ الإيمان من نفسنا
لئلاّ نصير موتى خفيّين
هؤلاء، قال عنهم الإله الحيّ:
«دعِ الموتى يقبرون موتاهم»[٣].

٥ الهواء هو نفس كلِّ حيٍّ
هو الهبوب الحيُّ الذي يُحيي الجسد
فمن يتجاسر أن ينقطع عن مجراه الحيّ!
هو ميِّت جليّ
فمن انقطع
عن مقال الحقّ
هو جثَّة خفيّة.

٦ «لا أرتضي بموت المائت»[٤]
هكذا شهد الحيُّ الذي يُحيي الجميع
كيف حلف[٥] ذاك الإله الحقيقيّ، وما دجَّل
جلت إرادته ينبوع الحياة
وأفاض حبَّه الذي عطش كثيرًا
لكي يقتل موتنا.

---

(٢) جذران مختلفان: ܪܘܚ. ثمّ: ܪܚܛ.
(٣) مت ٨: ٢٢: «اتبعني واترك الموتى...».
(٤) حز ١٨: ٣٢. بل أن يعود ويحيا.
(٥) ܐܝܡܝ. أو: ܝܡܐ: حلف، أقسم. يرد هذا الفعل مرارًا في الكتاب المقدَّس، ليدلَّ على أنَّ الله ينفِّذ حتمًا ما وعد به. والله يُقسم بنفسه، لأنَّ ليس أكبر منه يُقسم به. رج تكَ ٢٢: ١٦. بعد ذبيحة اسحق: «بنفسي أقسمتُ يقول الربّ». رج خر ٣٢: ١٣؛ ٣٣: ١؛ عد ١١: ١٢؛ تث ١: ٨.

٧ وضعَ الكتاب، ختمَه:
البارُّ يستطيع بالإيمان أن يحيا[٦]
الإله المهيب صنع الحقيقة
مثل جذر شجرة
وتدابيره مثل ثمرة
بالإيمان أخذهم وربطهم بغصن الحقيقة.

٨ في نمط جليّ،
ها أنت ترى الخفايا كما بالعينين
فالجسد، كالتاجر، يحتاج المقتنيات
والوجدان يجمع كنوزه
كما الملاّح الإيمان، سفينةَ الحياة.

٩ وإذ الجسد يقوم بحياة النفس،
بالخبز يقوم
والنفس أيضًا وهي حيّة
لا تحيا بدون تدابير الإيمان
فبمساعدات الإيمان
تقدر أن تحيا، كما تشهد الكتب.

١٠ أجاب لعازر المؤمن وخرج من القبر[٧]
عذبت رائحتُه بصوتٍ دعاه
ونالت الشعوب حياة.
في سرٍّ لعازر الحياة الخفيّة
وفي سرِّ الشعب[٨] مات السارق[٩]

---

(٦) حب ٢: ٤؛ رج روم ١: ١٧؛ غل ٣: ١١؛ عب ١٠: ٣٨ (وإن ارتدَّ لا أرتضي عنه).

(٧) يو ١١: ١–٤٤. إقامة لعازر.

(٨) **ܥܡܐ**. الشعب اليهوديّ. تجاه الشعوب (**ܥܡܡܐ**) الآتية من الأمم.

(٩) يهوذا. هكذا دعاه يو ١٢: ٦: يختلس ما يُودَع في الصندوق.

الذي خنق نفسه وأورث حبله[١٠]
للكتبة الذين دفعوا[١١] له أجرًا[١٢].

(١٠) مت ٢٧: ٥ مع الحبل (ܚܒܠܗ).

(١١) ܣܡܘܠ. رج مت ٢٦: ١٥: ماذا تعطوني... فوعدوه بثلاثين من الفضّة.

(١٢) الجسد يقوم بالنفس، والحياة تقوم بالإيمان. لا يحيا الجسد من دون النفس، وكذلك الإنسان. راحت النفس فيموت الإنسان وموته منظور. وضاع الإيمان، فنموت ولكنَّ موتنا خفيّ، لامنظور، على ما قال الإنجيل (النفس والجسد في جهنّم). هو الموت الروحيّ تجاه الموت الجسديّ. الإيمان في الإنسان مثل الشجرة للثمرة. وفي النهاية، مات لعازر وقام بعد أربعة أيّام. أمّا الشعب اليهوديّ فتبع يهوذا قبل أن يشنق نفسه.

الخاتمة

أناشيد في الإيمان. ثمانون نشيدًا دوَّنها أفرام أو هو قالها في نهاية حياته، في الحقبة الرهاويَّة، فجمعها تلاميذه بحسب الموضوع أو الردَّة أو اللحن. أناشيد تحمل اللاهوت والعقيدة. لا شكَّ في أنَّنا بعيدون عن طرق اليونان الجدليَّة التي تعوَّدنا عليها خصوصًا في دراستنا الفلسفيَّة واللاهوتيَّة كما حملها إلينا الغرب، من اليونان إلى الرومان، وصولا إلى فرنسا، وألمانيا وإنكلترا وإيطاليا. لهذا اعتبر عدد كبير من الناس أنَّ لا لاهوت عند أفرام. أسلوبهم واحد ولا يعرفون أن يخرجوا منه. وما يضايق هو أنَّ الغرب يريد أن يُسقط مقولاته على التراث الشرقيّ وكأنَّه المعيار الوحيد. ونطرح السؤال: هل كان أسلوب الإنجيل مثل أسلوب بولس؟ وهل تحدَّث يسوع كما تحدَّث أفلاطون وأرسطو؟

وما يضايق أكثر هو أنَّ العديد من الباحثين الشرقيّين اتَّخذوا طريقة الغرب وما عرفوا أن يدخلوا إلى تراثهم في العمق. هذا يعتبر نسطور هرطوقيًّا، كما قالت كتب اللاهوت الغربيَّة لأنَّه قال إنَّ مريم هي أمُّ المسيح، لا أمُّ الله. ولكن هل ننسى أنَّ المسيح هو الله؟ ما هذه الحروب الكلاميَّة! وقال آخر: كان فيلوكسين المنبجيّ مونوفيسيًّا، في المعنى المسفَّل، أي أعلن أنَّ في المسيح طبيعة واحدة، بعد أن ابتلعت الطبيعة الإلهيَّة الطبيعة الإنسانيَّة! كيف نتجاسر على مثل هذا القول مع مثل هؤلاء الآباء الكبار؟ وباسم هذه العقليَّة «اليونانيَّة» التي خاف أفرام من «سمِّها»، حُكم على الرؤوس الثلاثة، حكمًا دخلت فيه المجادلة والخصومات.

غير أنَّ السريان رفضوا أسلوب "اليونان"، وأخذوا بأسلوب البساطة الإنجيليَّة. هكذا كان أفراهاط الحكيم الفارسيّ. يورد النصوص الإنجيليَّة ويستخلص منها التعليم من أجل المؤمنين. والشعراء أفرام، قيرلونا، يعقوب السروجيّ، نرساي، وغيرهم لبثوا محافظين على الأسلوب عينه. فلماذا نترك الغنى الذي عندنا ونأخذ بغنى آخر نُسقطه على تراثنا، فنخسر مع هذا التراث شخصيَّتنا التي يمكن أن تغتني من سائر التقاليد الكنسيَّة كما تستطيع أن تغنيها؟

مسيرة عشناها مع أفرام السريانيّ. بعد الدكتوراه التي عنوانها البدايات والنهايات، أي الخلق ونهاية العالم، والتي صدر منها القسم الأوَّل في كتاب بالفرنسيَّة: أصول الكون والإنسان في مؤلَّفات مار أفرام. وبعد طبْع أناشيد نصيبين في الفرنسيَّة، وعدد من المقالات صدرت مع مقالات أخرى في الكتاب المقدَّس وتقاليد الشرق، كانت الترجمات العربيَّة: أناشيد الصوم والفطير والصلب والقيامة. ثمّ: بين مائدة ومائدة. بعد ذلك: في الكنيسة أو الجهاد المسيحيّ. وها نحن نقدِّم أناشيد في الإيمان في هذين الجزئين. والكتاب التالي، إن شاء الله، يكون أناشيد في البتوليَّة، هذا إذا لم يظهر شيء في الفرنسيَّة. فهذا الغوص في مؤلَّفات مار أفرام، عدا الدراسات في مؤتمر حلب الأخير، يعطينا من الغنى بحيث نكتشف أنَّ ما تستطيع الكنائس الشرقيَّة أن تقدِّمه مهمٌّ جدًّا. فمتى نعرف واجباتنا؟

الإيرادات الكتابيّة(*)

التكوين		٢٢: ١٠	٥٦: ٣
١: ١	٣٥: ٢	٢٩: ٣٢	٦٠: ٧
١: ٣	٦: ٦	٣٠: ١٤	٥٣: ١
١: ١١	٦: ١٤	٣٠: ٣٧	٥٣: ١
١: ٢٠	٦: ١٥؛ ٤١: ٢	٣٨: ١٢	٤٦: ٥
١: ٢٦	٦: ٧	٣٩: ١٥	١٤: ٧
١: ٣١	٣٥: ٧		
٢: ٧	١: ٧؛ ٦٠: ١١	الخروج	
٢: ٩	٦: ١٤	٢: ١	٢٨: ٩
٢: ١٠	٤٨: ١٠	٣: ١٤	٤٧: ١٠
٢: ١٩	٦٢: ٢	٤: ١٦	٦١: ١٠
٣: ١٦	٦: ١٤	١٢: ٢٢	٩: ١٢
٣: ٢٠	٦٠: ١١	١٣: ٢١	٩: ١٢
٣: ٢٤	٢٨: ٨	١٤: ١٦	٨: ١٥؛ ٩: ١٢
٤: ٩	٦: ١٥	١٥: ٣	٣١: ٤
٦: ٢	٤٦: ٨	١٧: ٦	٩: ١٢
٦: ٦	٣١: ١؛ ٤٤: ٢	١٨: ١٩	٥: ٤
٧: ٤، ٦	٥٦: ٢	١٩: ١٢	٢٨: ٨
٩: ٢٠	٩: ١—٢	١٩: ١٤	١٤: ٦
١٠: ٢٥	٦٠: ١١	١٩: ١٨	٨: ١
١١: ٧	٦٠: ١٢	٢٤: ٩	٢٦: ١١
١١: ٩	٦٠: ١١	٢٤: ١٠	٣١: ٨
١٨: ٨	١٠: ١١	٣٣: ١٠	٨: ٣
١٨: ٢٤	٥٦: ٥	٣٤: ٢٩	٨: ١؛ ٣٣: ١٠

(*) حسب النشيد والمقطع.

١٣ :٦٥
٢ :٤
٣ :٤
١٠ ،٧ ،٤ :٤
١١ :٤
٣٩ :٥
٤١ :٥
٣٠ :٦
١٣ :٧
١٢ :٨
١٤ :٨
٢٢ :٨
٢٦ :٨
٢ :٩
٢٠ :٩
٢٥ :١١
٢٧ :١١
٢٩ :١١
٨ :١٣
٢٨ :١٣
٣١ :١٣
٣٣ :١٣
٣٤ :١٣
٤٤ :١٣
٤٧ :١٣
٢٤ :١٤
١٩ :١٦
١ :١٧
١٠ :١٧

٢ :٢٩
٧ :٧
٧ :٣٠
٢ :٥١
٦ :٣٠
٦ :٣٠
١٨ :٢
١٩ :١١
١٨ :٣٨
٤ :٥٤
٤ :٨٠
٢ :٥٤
٤ :٥٤
١١ :١٢
٧ :٧
١١ :٧٧
١٥ :١٢
١٨ :١٢
١ :٦٤
١ :٤٢ ؛٧ :٥
٣ :٧٩ ؛١٢ :١٢
١٩ :٧٥
١١ :١٢
٣ :٧٩ ؛١١ :٤٢
٤ :٧
١٣ :٦٠
٣ :٧ ؛٦ :٤٦
٩ :٤٤

٦ :١٨
٢٣ :١٨
٢٨ :١٨
٢٨ :١٩
١ :٢٠
١٥ :٢٠
١٦ :٢٠
٧ :٢١
١٨ :٢١
٣٣ :٢١
٤١ :٢١
١٢ :٢٢
٤٢ :٢٢
١ :٢٥
١٤ :٢٥
٤١ ،٣٠ :٢٥
٣٦ :٢٦
٥ :٢٧
٥١ :٢٧
١٩ :٢٨

مرقس

٧ :١
٢٤ :١
١٠ :٣
٩ ،٧ :٥
٢٥ :٥
٢١ :٦
١٤ :٩

١ :٦١
٧ :٥٤
٩ :٣٠
٨ :٦٣
١٤ :١٢
٣ :٤٦
١٩ :١١
٨ :٦٣
١٤ :٢٥
٥ :٣٦
٦ :٥٤
١٨ :١١
٩ :٤١ ؛٩ :٧
١٨ :١١
٧ :٥٤ ؛١٣ :١٢
١٣ :٥٨
٢ :٢٩
١٠ :٨٠
٣ :٦٣
١٤ :٢٣

٥ :١٠
٧ :٥٤
١٤ :٥٣
٨ :٦٠
٦ :١٠
٦ :٣٤
٧ :٧

الرسالة إلى غلاطية

٢: ٩ ٧: ٣

الرسالة إلى فيلبّي

٢: ٧ ١٩: ٨

الرسالة الثانية إلى تيموتاوس

٢: ١٧ ٥٢: ٨

الرسالة إلى العبرانيّين

١: ١٤ ٢٨: ١

٢: ١١ ١٩: ١

٥: ٢ ١٩: ١٠

٩: ٧ ٨: ٧

٩: ١٢ ٨: ٨

أسماء العلم والأماكن(*)

(*) حسب النشيد والمقطع.

الموضوعات المطروحة(*)

(*) حسب النشيد والمقطع.

الفهرس

ينابيعُ الإيمان

مجموعة تصدرُ عن الجامعة الأنطونيّة، فتقدّم النصوص الآبائيّة، في كنيسة انطاكية، سواء السّريانيّة منها أو اليونانيّة.

ظهر منها:

التوزيع: - دير مار روكز - الدكوانه

ص.ب: ٥٥٠٣٥ بيروت، لبنان

- المكتبة البولسيّة

شارع القدّيس بولس - ص.ب: ١٢٥

٥٠١٠ جونيه، لبنان